وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية – قطب شتمة –

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

عنوان المذكرة

الحياة العلمية في الدولة الرستمية من خلال كتاب طبقات المشائخ ل أبي العباس الدرجيني (160-296هـ/ 777-909م)

مذكرة تخرج مكملة لنيل شهادة الماستر

تخصص : تاريخ الغرب الاسلاميفي العصر الوسيط

إعداد الطالب :

حملاوي جلال يوسف

تحت إشراف :

أ.د غرداين مغنية

السنة الجامعية : 2024م / 2025م

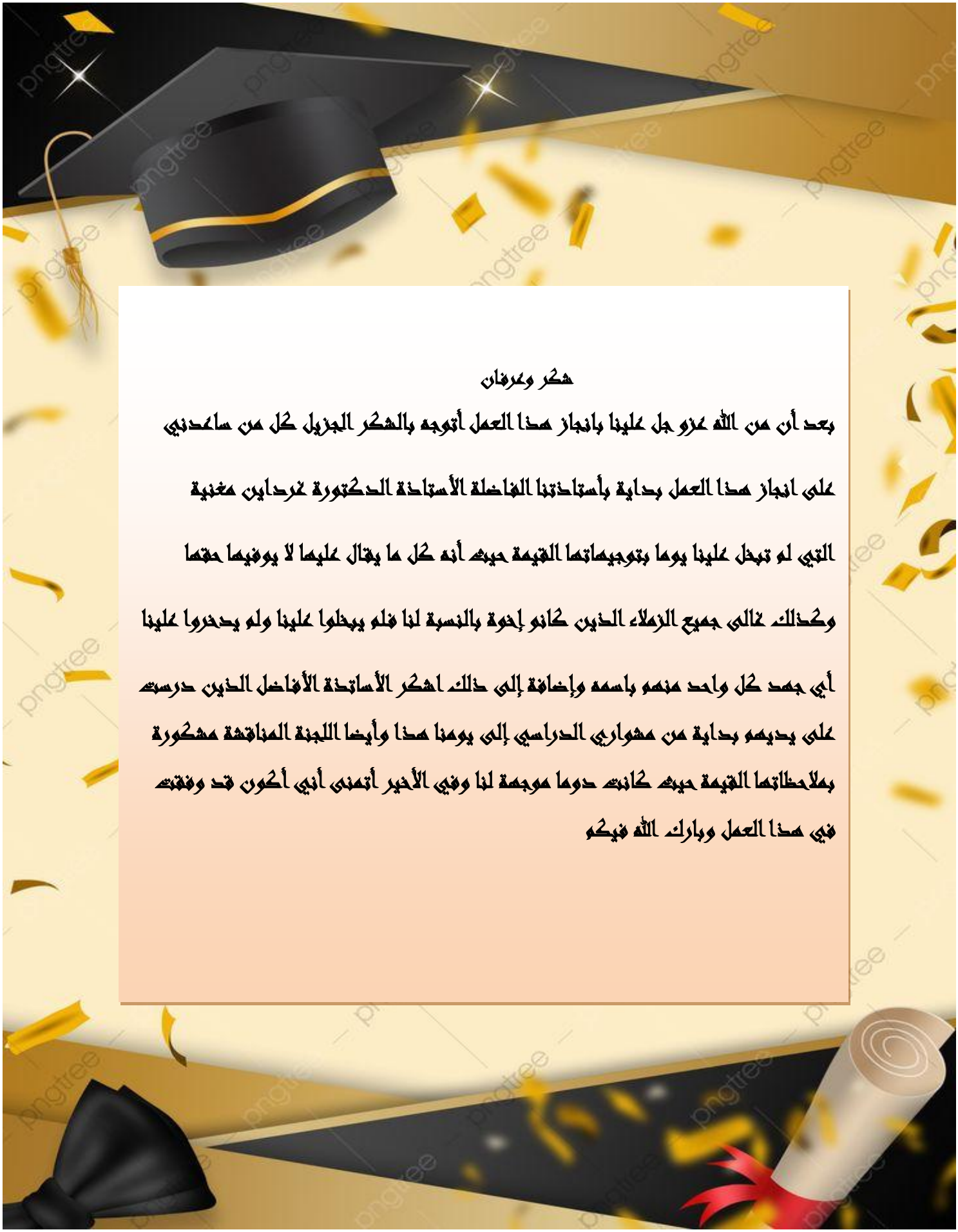

شكر وعرفان

بعد أن من الله عزو جل علينا بانجاز هذا العمل أتوجه بالشكر الجزيل كل من ساعدني على انجاز هذا العمل بداية بأستاذتنا الفاضلة الأستاذة الدكتورة غرداين مغنية التي لم تبخل علينا يوما بتوجيهاتها القيمة حيث أنه كل ما يقال عليها لا يوفيها حقها وكذلك غالى جميع الزملاء الذين كانو إخوة بالنسبة لنا فلم يبخلوا علينا ولو بحرفوا علينا أي جهد كل واحد منهم باسمه وإضافة إلى ذلك اشكر الأساتذة الأفاضل الذين درست على يديهم بداية من مشواري الدراسي إلى يومنا هذا وأيضا اللجنة المناقشة مشكورة بملاحظاتها القيمة حيث كانت دوما موجهة لنا وفي الأخير أتمنى أني أكون قد وفقت في هذا العمل وبارك الله فيكم

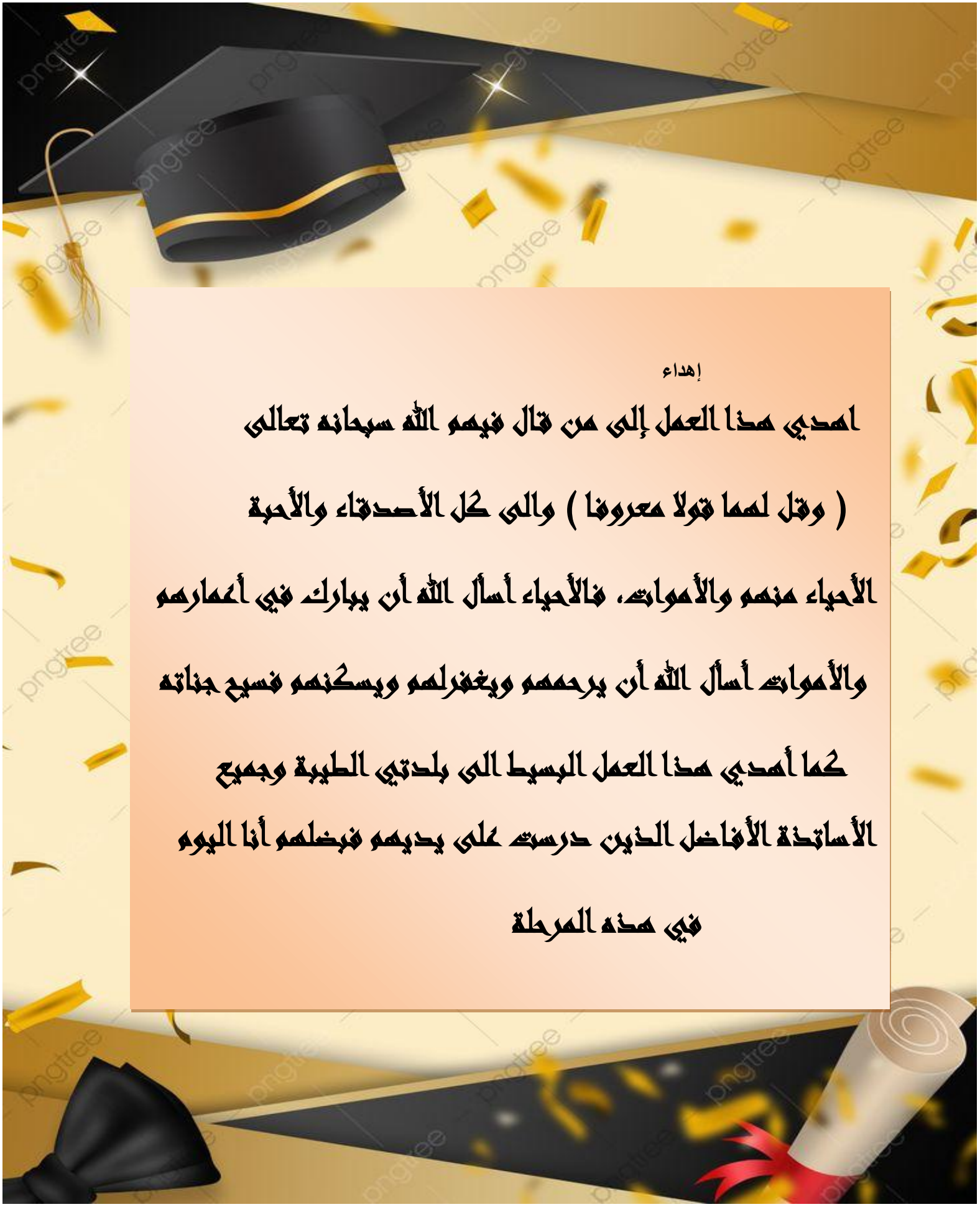

إهداء

اهدي هذا العمل إلى من قال فيهم الله سبحانه تعالى

(وقل لهما قولا معروفا) والى كل الأصدقاء والأحبة

الأحياء منهم والأموات، فالأحياء أسأل الله أن يبارك في أعمارهم

والأموات أسأل الله أن يرحمهم ويغفرلهم ويسكنهم فسيح جناته

كما أهدي هذا العمل البسيط الى بلدتي الطيبة وجميع

الأساتذة الأفاضل الذين درست على يديهم فبفضلهم أنا اليوم

في هذه المرحلة

مقدمة

مقدمة

قدمت الحضارة الإسلامية للبشرية خدمات عظيمة مازال البشر يستفيدون منها إلى اليوم وهذا لم يأتي من فراغ إذ أن الدين الإسلامي حث على التزود بالعلم في العديد من الآيات والأحاديث النبوية وبلاد المغرب الإسلامي كغيرها من البلدان الإسلامية خاصة بعد الفتح امتثل أهلها لذلك وبرز فيها العديد من العلماء منهم ابو العباس أحمد سعد الدرجيني وكتابه طبقات المشائخ والذي يوضح لنا فيه الحياة العلمية للدولة الرستمية (160ه- 296ه/ 777م- 909م) الذي هو موضوع دراستنا والذي يوضح لنا الحياة العلمية للاباضين داخل الدولة الرستمية حيث إن الاباضية كغيرهم من المذاهب نشطو ببلاد المغرب لنشر مذهبهم معتمدين على الحلقات والجالس ومستغلين بذلك الظروف السياسية للمنطقة آنذاك .

تكمن اهمية دراسة الموضوع في معرفة تاريخ الاباضية وذلك بالتطرق الى الحياة العلمية للاباضيين في بلاد المغرب الإسلامي اعتمادا على كتاب "طبقات المشائخ للدرجيني" والذي على الرغم من تركيزه على الجانب السياسي الا أنه مفيد أيضا في معرفة العلوم التي كانت متداولة في تلك الفترة وأبرز العلماء.ولقد كان من دوافع اختيارنا لهذا البحث :

- محاولة فهم نظام المجتمع الاباضي الذي ظل حافظا على كيانه إلى يومنا هذا ومعرفة طريقة سيره

- السعي لتسليط الضوء على تاريخ الحياة العلمية في بلاد المغرب الإسلامي

والتي لا تحضى بنفس حظ الحياة السياسة من الدراسة والاهتمام بالاعتماد على

واحد من أهم مصادر التاريخ في تلك الفترة

ولمعالجة هذا الموضوع قد طرحت الإشكالية التالية:

كيف كانت الحياة العلمية للاباضيين في الدولة الرستمية من خلال مؤلف طبقات المشائخ ل ابو العباس للدرجيني ؟

وللإجابة عن هذه الاشكالية قمنا بتجزئتها الى عدة تساؤلات حتى يسهل الوصول الى فهم كلي للموضوعوالاحاطة بمختلف جوانبه

- من هو الدرجيني وكيف نشأ وما هي أسباب ودوافع التي كانت وراء تأليفه لكتاب طبقات المشائخ وما هو المنهج الذي اعتمد عليه في تدوينه؟

- أين ظهرت الدعوة الاباضيية وكيف انتقلت الى بلاد المغرب الاسلامي؟

- كيف كانت الحياة العلمية في الدولة الرستمية ثم كيف أصبحت بعد سقوطها؟

- ماذا نعني بنظام العزابة ومن هو مؤسسه وما هي الطريقة التي يسير بها؟

وقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الاستقرائي من خلال العودة الى مختلف المصادر واستخراج المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع، أيضا اعتمدنا على المقارنة بين المعلومات التي جاءت في مختلف المصادر ... بالإضافة الى سرد لمختلف الاحداث ولمعالجة هذا الموضع قسمنا هذا البحث الى أربعة فصول كل فصل به ثلاثة مباحث وقد جاءت كالاتي:

الفصل الأول: تعريف بالدرجيني وكتابه طبقات المشائخ حيث تطرقنا في المبحث الاول الى ترجمة للدرجيني من ميلاده وصولا الى نشأته ووفاته، وفي المبحث الثاني تم وصف الكتاب خارجيا أي الدراسة الظاهرية للكتاب، وفي المبحث الثالث تم فيه وصف الداخلي للكتاب من خلال تحديد أسباب تأليف هذا الكتاب والمنهج الذي تم تأليفه به ومختلف المصادر التي اعتمد عليها أي الدراسة الباطنية للكتاب .

الفصل الثاني: ظهور الدعوة الاباضيية وانتقالها الى بلاد المغرب الاسلامي المبحث الأول تم التطرق فيه الى ظهور فرقة الأباضيية كأحد فرق الخوارج، أما المبحث الثاني فقد عرضنا فيه تنظيم السري الدعوة الاباضيية بالمشرق والمبحث الثالث يتناول وصول الدعوة الاباضية الى بلاد المغرب الإسلامي عبر مجموعة من الدعاة وحملة العلم خاصة.

الفصل الثالث: الحياة العلمية في الدولة الرستمية، في المبحث الأول دور أئمة البيت الرستمي في رعاية الحياة العلمية والنشاط التعليمي، المبحث الثاني المؤسسات التعليمية واما المبحث الثاالث الانتاج الفكري عند الرستميين

الفصل الرابع: الحياة العليمة للاباضيين بعد سقوط الدولة الرستمية المبحث الأول انتقال الحياة العلمية بعد سقوط تيهرت الى عدة مدن أخرى، واما المبحث الثاني كان حول تأسيس نظام العزابة و اما المبحث الثالث طريقة سير نظام العزابة ودوره في الحفاظ على الموروث الاباضي ليومنا هذه الموروث الاباضي ليومنا هذه.

وأما المنهج المتبع في هذا الموضوع هو المنهج التاريخي وذلك من خلال عرض

تاريخ الاباضية والحياة العلمية هناك كيف كانت الى جانبه المنهج المقارن وذلك من خلال مقارنة المعلومات التي جاءت في المصادر المختلفة

لقد اعتمدنا في إعداد هذه المذكرة على مصادر ومراجع مختلفة نذكر منها :

- ابو العباس الدرجيني بعنوان طبقات المشائخ وهو من أهم المصادر في هذه المذكرة حيث يعتبر هذا المصدر مصدرا أساسيا في دراسة هذا الموضوع

- محمد بن احمد بن عثمان الذهبي بعنوان سير أعلام النبلاء حيث استعنا به في ترجمة أهم الشخصيات البارزة والتي لها علاقة بالموضوع المدروس

- ابن الصغير المالكي والذي له مؤلف بعنوان أخبار الأئمة الرستميين حيث يعتبر من المصادر المهمة التي تناولت اخبار الدولة الرستمية منذ التأسيس الى غاية سقوط الدولة الرستمية

- احمد بن سعد بن عبد الواحد الشماخي بعنوان كتاب السير والذي تكلم فيه على مدينة تيهرت وأهم الاعلام الذين مرو بيها

وأما من المراجع المهمة نذكر منها :

- باجية صالح تحت عنوان الاباضية بالجريد في العصور الاسلامية حيث تكلم فيه على تاريخ الاباضية واهم أعمالهم وتراثهم الفكري

- بحاز إبراهيم بكير بعنوان الدولة الرستمية دراسات عن الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية حيث استعملناه في دراسة الأوضاع الاقتصادية وعلاقات الرستميين التجارية مع الدول الأخرى وكذلك دراسة الموروث الفكري الرستمي من خلال أهم

ابراز أهم المؤلفات التي ساهمت في نشر الفكر الاباضي في بلاد المغرب الاوسط

- محمد بن موسى بابا عمي وآخرون بعنوان معجم اعلام الاباضية من القرن الاول

هجري الى العصر الحاضر والذي ساعدنا كثيرا في التعريف بالشخصيات الاباضية ودورها في المجتمع .

ومن الصعوبات التي واجهتنا في إعداد هذا البحث هي:

- طبيعة المعلومات الموجود في الكتاب حيث يركز على الجانب السياسي أكثر من الجانب العلمي.

-احتواء الكتاب على المصطلحات المذهبية التي يصعب فهمها .

الفصل الأول التعريف بالدرجيني وكتابه طبقات المشائخ

الفصل الأول تعريف بالدرجيني وكتابه طبقات المشائخ

المبحث الأول: نشأة وبيئة أبي العباس الدرجيني

هو أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف النفوسي التميجاوي [1]، ينتسب إلى أسرة مشهورة بالعلم والثروة تنحدر في الأصل من إحدى القبائل البربرية التي كانت تقطن جبل نفوسة [2] وقد هاجرت أسرته إلى افريقية [3] ، قبل ولادته بوقت طويل واستقرت في بلاد الجريد [4]وكان والده يعيش في منطقة الدرجين السفلى الجديدة بالقرب من نفطة بالجريد وقد نسب أبو العباس اليها وعرف بالدرجيني ومن المحتمل أن أبا العباس الدرجيني ولد هناك في وقت لا تحدده المصادر بشكل واضح ودقيق ولكن من المؤكد أن الدرجيني ولد في أوائل القرن السابع هجري ، وتذكر المصادر أنه كان تلميذا في وارجلان[5] في أواخر العقد الثاني من القرن السابع هجري وهو لا يزال شابا يافعا لم يبلغ سن الرشد .

عاش أبو العباس الدرجيني في كنف أسرة علمية عريقة حيث كان والده وأجداده من مشايخ الاباضية المعروفين في جبل نفوسة وبلاد الجريد، وكان جده الثالث أحد شيوخ العزابة المشهورين في منطقة نقطة .[6]

---

[1] - احمد بن سعد عبد الواحد الشماخي : كتاب السير، تحقيق أحمد بن سعود السيابي وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، دس. ص 447.

[2] - جبل نفوسة : نسبة إلى قبيلة نفوسة حيث يقول ابن خلدون كان ما دغس الأبتر جد البرابرة وكان ابنه رحيل ومنه تشعب بطونهم فكان لهمن الولد فيما يذكر نسابه أربعة، نفوس...وأما نفوس فهم بطن تتسب إليه نفوسه كلها ... وهناك الجبل المعروف بهم... عبد الرحمن بن خلدون (732-803هـ/1332-1406) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، 2000، ص 149.

[3]- افريقية بكسر الهمزة وهو اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية وينتهي اخرها قبالة جزيرة الاندلس... شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان دار صادر، بيروت لبنان)، 1977م، ج1 ، ص 227.

[4]- بلاد الجريد: تشمل توزر و ضواحيها، نقطة وضواحيها، قنطراز الحامة، سدادة وتقيوس... وهو مجموعة من الواحات يسميها الاباضية القصور ... صالح باجيه الإباضية بالجزيد في العصور الإسلامية الأولى، الطبعة الأولى دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ص 06.

[5]- وارجلان بفتح الراء وترقيقها وسكون الجيم والنون عرف هذا البلد قديما باسم فجوهمة وأطلق عليه تسمية متقاربة من حيث النطق واركلان واركلا، وارقلا، وراجلان إلا أن اسمين الذي اشتهر بهما الان هما وارجلان وهي حاليا مدينة ورقلة... مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد الطبعة الأولى دار الشؤون الثقافية العامة، فاق عربية، بغداد ، ص 224.

[6]- أبو القاسم البرادي، الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات، تحقيق .أحمد بن سعود السيابي، الطبعة الأولى، دار الحكمة، لندن، دس، ص 215 .

وتبعا لذلك كان يلقب بـ"العزابي[1] وقد اشتهر بالورع والتقوى وتصفه المصادر الأباضية بأنه كان على درجة كبيرة من الحكمة والدراية وتشير الى أن حكمه كانت من الغزارة بحيث لوجمعت ودونت لكونت سفرا كبيرا نافعا .

وكانت سيرة يخلف تروى في مجالس الاباضية لتكون مثلا حسنا وقدوة طيبة لاتباع المذهب في الشمال الافريقي وقد جمع يخلف الثراء مع العلم فقد كان ذا مال وفير وصاحب أراض وبساتين واسعة جميلة في منطقة نقطة وكان معاصروه يصفون حقوله وبساتينه بأنها جنات وغابات نظرا لجمالها وكثرة ما فيها من أنواع الخضر و الأشجار [2].

وكان يخلف معطاء كريما يبذل المال على تلاميذ العزابة و على أفراد أسرته وقد ورث عنه أولاده علمه وماله وكان ابنه علي (الجد الثاني للدرجيني) من علماء الاباضية النابهين المروقين ، وكان ذا سخاء وكرم وعلما وتقوى كما كان تاجرا ماهرا امتدت صلاتها التجارية الى مناطق افريقية جنوب الصحراء وخاصة ما كان يعرف آنذاك بمملكة غانا[3] وتشير المصادر الاباضية الى جهوده في نشر الاسلام في تلك البقاع وتزعم أن أحد ملوك غانا قد اعتنق الإسلام على يديه ومهما كانت صحة هاته المعلومات فإنها بدونشك تشير الى غنى أبي الحسن علي بن يخلف العزابي في العلوم والمال ، أما جد الدرجيني المباشر سليمان بن علي فقد كان أيضا من مشايخ الاباضية وعلمائهم في بلاد الجريد[4]

[1] - العزابي يقول ابن منظور(عزب يعزب عزوبا كفعول مضموم الفاء والعين ويقول رجلا عزب ومعزابة لا أهل له ... رجل عزب لازوج لها وله ...والجمع...أعزب ... محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي : لسان العرب ، تحقيق : امين محمد بن عبد الوهاب ، دار احياء التراث العربي بيروت لبنان ،1999 ج 1 ص 595.

[2] -أحمد بن سعد بن عبد الواحد الشماخي : المصدرالسابق ، ص 447، 545.

[3] -مملكة غانا كان لها حدود متسعة فقد ذكرالبكري أثناء وصفه لمجلس الملك تنقسم إلى عدة وحدات ادارية حيث امتدت جنوبا وغربا على أعالي نهر السينغال والنيجر وشمالا نحو مناطق قبائل صنهاجة.. احمد الياس حسين الإسلام في مملكة غانا : مجلة دراسات افريقية المركز الاسلامي في الخرطوم ، العدد الرابع، 1989،ص 63-64.

[4] -أحمد بن سعد بن عبد الواحد الشماخي : المصدر السابق ،ص457 .

وكان مشهورا بتضلعه في فنون اللغة العربية و آدابها كما كان حجة في علم الفروع والفقه ولذا كان الاباضية يلقبونه فقيه القوم كما كان ينظم الشعر وان لم يكن مشهورا به.[1]

أما والد أبي العباس فلم يكن أقل من أسلافه علما ومالا وكان مشهورا بورعه وتقواه وحبه للعلم والمعرفة وكان يتقن العربية وينظم الشعر ويحظ أبنائه على التزود بالعلم والمعرفة ومما يدل على سعة علمه واجتهاده بعض المشايخ الذين أشاروا على ابنه أبي لعباس أن يصنفه في كتابه ضمن علماء النصف الأول من القرن السابع هجري[2].

في ظل هذه الأسرة الغنية بالعلم والمال عاش وتربى أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني مؤلف كتاب طبقات المشايخ في بلاد المغرب ، وكان للبيئة المحيطة به اثر كبيرا في تكوينه اذ نشأ على حب العلم جاد في ، وبعد أن تلقى علومه الأولية في نفطة ومنطقة الجريد قرر والداه أن يرسله الى مراكز الثقافة الاباضية في شتى أنحاء المغرب ليأخذ عن مشايخ الاباضية المشهورين في تلك البقاع ، وتذكر المصادر أن والداه أرسله بينما كان شابا صغيرا اى وراجلان عام 661هـ/ 1219-1220م ليأخذ العلم عن شيوخ الاباضية هناك وقد مكث الدرجيني سنتين في وراجلان تتلمذ خلالهما على أشهر مشايخ الحلقة الاباضية وأخذ عنهم مختلف العلوم الدينية طبقا للمذهب الاباضي ، ويصف الدرجيني التحاقه بحلقة العزابة في وراجلان ويقول: دخلت حلقة وراجلان حرسها الله وذلك في ربيع الأخير سنة ست عشرة وستمئة في أول ما وجب على الصوم والبال خال من الهم وكنت أعجب ممن ينفرد فلا يشتهد وممن يمكنه الورود فلا يرد ومن يخلو بالمفيد كيف لا يستفيد[3].

[1] - أحمد بن سعد بن عبد الواحد الشماخي: المصدر السابق، ص 458.

[2]- أبي العباس احمد بن سعيد الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق ابراهيم طلاي ج1 ص 10.

[3] - أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني: المصدر السابق، ص18 .

وقد تعلم و علم هناك واتصل بأعضاء حلقة العزابة وشيوخها وأبدى نشاطا وجهدا ملحوظين كما أظهر نبوغا ومهارة فائقة في العلوم الاباضية المختلفة وبرهن على قدرة متميزة في اتقان اللغة العربية و فنونها مما أكسبه تقدير واحترام علماء الدين الاباضيين في جربة واعترفوا له بطول الباع في العلوم اللغوية العربية ومختلف العلوم الاسلامية وكان ذلك من الأسباب التي دعت شيوخ العزابة إلى تكليفه كما سنرى بتأليف كتاب الطبقات.[1]

لا تعرف تاريخ وفاة الدرجيني ولكن من الثابت أنه توفي بعد عام 650هـ/1209م حيث ذكر في كتابه أنه أرخ للعلماء الإباضية المغاربة منذ بداية حركتهم وحتى منتصف القرن السابع الهجري وهذا يدل على أنه توفي بعد هذا التاريخ [2].

[1] - عوض محمد خليفات : نشأة الحركة الإباضية ،عمان، 1978، ص 17.
[2] - المرجع نفسه ، ص 17.

المبحث الثاني: التعريف بالكتاب خارجيا

الكتاب الذي نحن بصدد دراسته هو طبقات المشايخ لأحمد بن سعد الدرجيني والنسخة التي بين أيدينا هي الطبعة الأولى للكتاب والذي حققه ابراهيم طلاي عام 1974 الموافق 1394هـ في البليدة في الجزائر، مطبعة البعث قسنطينة- الجزائر .

أما حجمه فهو متوسط عرضه 18سم وطوله 24.5 سم ويتكون الكتاب من جزئيين:

-الجزء الأول: يحتوي على 208 صفحة

-الجزء الثاني: 201 الى غاية 546 صفحة

وهذا الكتاب مطبوعا على ورق عادي

المبحث الثالث: التعريف بالكتاب داخليا

أسباب تدوين كتاب طبقات المشايخ ببلاد المغرب

يذكر الدرجيني أنه دون الكتاب بناء على طلب من أعضاء العزابة وقد سأل من وجبت طاعته ولم يسع اهمال أمره واساءة طاعته أن أجمع من سير أسلافنا وأخبارهم ما تيسر لي جمعه..... [1]" وهكذا فانالدرجيني لم يألف هذا الكتاب بناءا على رغبته الخاصة.

وهناك من يرجع سبب كتابة الدرجيني لهذا الكتاب الى رغبة اباضية المشرق في الاطلاع على أخبار إخوانهم في المغرب ولهذا جاء اختيار الدرجيني لإتقانه اللغة العربية حتى يتمكن من توصيل أكبر قدر من الاخبار والمعلومات الى أهل المشرق، فيقول البرادي: أن سبب تأليف أبي العباس هذا الكتاب لما وصل الحاج عيسى بن زكرياء من بلاد العمان... فكان ممن رغب اليه فيه اخوانه من أهل عمان قالوا: له وجهوا لنا كتابا يتضمن سير أوائلنا ومناقب أسلافنا من أهل المغرب.....[2]

ولا يعلم متى بدأ الدرجيني في تأليف كتابه ولا متى انتهى منه.

منهج ابن العباس أحمد بن سعيد الدرجيني

قسم الدرجيني كتابه الى قسمين فالقسم الأول يتعلق بالتاريخ والقسم الثاني السيرة، وقسم كل قرن الى طبقتين كل طبقة تمثل خمسين سنة.

بدأ الدرجيني كتابه بالحث على التزود بالعلم والنهل منه قدر المستطاع فان العلم دليلا يقتدي به واليه طريق الرشد هاد يهتدى به[3] واستشهد بآيات قرآنية وأحاديث نبوية ثم بين السبب الذي دفعه الى تدوين الكتاب وقد ذكر سابقا.

---

[1] - ابي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، المصدر السابق، ج1 ص 3 .

[2] - ابو القاسم البرادي، المصدر السابق، ص 215.

[3] - ابي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، المصدر السابق، ص 3.

كما قام في مقدمته بشرح بعض المصطلحات لتسهيل مهمة قراءة الكتاب وقد رأيت أن أقدم مقدمة تكون فراشا للكتاب تفهم منها ألفاظ اصطلح عليها أصحابنا المتأخرون[1] .

بعد هذا العرض يبين لنا الدرجيني أسماء كل الذين يريد الترجمة لهم وعرض أخبارهم في كل طبقة من كتابه وقد سار على منهج أبي عمار عبد الكافي هذا الفصل نقلته مما فعله الشيخ أبو عمار عبد الكافي رحمه الله[2] ، وهكذا فان الدرجيني يعترف باستفادته منه.

بعد المقدمة تناول الدرجيني في الجزء الأول من كتابه تاريخ وصول المذهب الاباضي الى بلاد المغرب وأول من نقله من المشرق الى المغرب أول من جاء يطلب مذهب الاباضية ونحن بقيروان[3] * افريقية...[4]وصولا الى غاية تأسيس الدولة الرستمية وأعمال كل امام فيها وأيضا عرض الانقسامات التي أصابت مذهب الاباضية في بلاد المغرب الى فرق عديدة، بعد ذلك قام بشرح نظام العزابة الذي تأسس في بداية القرن الخامس الهجري.

استعان الدرجيني في هذا الجزء بسير أبي زكرياء يحي بن أبي بكر مع بعض الإضافات وقام بتهذيب أسلوب أبي زكرياء لجعله سهلا ميسورا فأخذت في تهذيب الكتاب المذكور (سير أبي زكرياء) وأضيف إلى ذلك ما لا بد منه من خطب وشعر غير مشهور وبهذا فان الدرجيني يكون قد استفاد من مؤلفات أخرى حيث اخذ منها ما يلزمه وعدل في بعضها لتسرب اللغة البربرية إليها وأحيانا كان يعقب حول ما أوردته هذه المؤلفات [5].

[1] - ابي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، المصدر السابق، ج1 ص 1-6.

[2] - المصدر نفسه، ج1 ص 6-11.

[3]- القيروان: بناها عقبة بن نافع (50-555هـ/60-674م) في افريقية واختارها مكانا وسط فهي ليست قريبة من الساحل وليست موغلة في الداخل، لمياء عز الدين الصباغ القيروان ملتقى الاندلسين، مجلة التربية والتعليم، جامعة الموصل المجلد 18 العدد الرابع، 2011، ص 173.

[4] - ابي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، المصدر السابق، ص 2.

[5] - المصدر نفسه، ج 1 ص 3 .

واستعان أيضا بمؤلف أبي عبد الله الشيعي حول تأسيس الدولة الفاطمية[1] واستعان أيضا في حديثه حول بناء مدينة تيهرت عاصمة الدولة الرستمية بما ذكره البكري حول هذه المدينة.

وبهذا فان الدرجيني على الرغم من اعتماده في القسم الأول من كتابه على سير أبي زكرياء إلا أنه أضاف بعض الأشياء تاركا بذلك بصماته.

القسم أو الجزء الثاني من طبقات المشايخ يعرض فيه الدرجيني أخبار الرجال الأولين من الاباضية الذين كان لهم الأثر الكبير على الدعوة الاباضية منذ ظهورها في القرن الأول هجري ويواصل حتى القرن السابع هجري وبالتحديد منتصف القرن السابع في هذا الجزء ركز الدرجيني على المشايخ الاباضين المغاربة أما المشارقة فلم يذكر سوى المشاهير منهم الذين عاشوا خلال القرن الأول الهجري والقرن الثاني هجري.

وهذا يعود أساسا كما سلف الذكر إلى أسباب تأليف كتاب وهي رغبة اباضية المشرق في الاطلاع على أخبار أسلافهم في المغرب لذا لم يركز الدرجيني على أخبار اباضية المشرق.

أولا: المعلومات السياسية والعسكرية

يزودنا الدرجيبني بمعلومات هامة وقيمة عن انتشار الدعوة الاباضية في بلاد المغرب منذ رحيل حملة العلم من المغاربة الى البصرة[2] عام 315هـ/927م حيث أخذوا العلم وتلقوا التدريب على يد امام الاباضية الاكبر آنذاك، أبي عبيدة بن أبي كريمة التميمي [3]، كما يزودنا بمعلومات مفيدة حول التنظيم السري للحركة الاباضية في البصرة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ويوضح لنا الطريقة التي اتبعها مشايخ

البصرة الاباضيون في نقل دعوتهم الى الأمصار العربية الإسلامية المختلفة وخاصة بلاد المغرب الإسلامي[4] .

[1] - ابي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني : المصدر السابق، ج1 ص 19-22

[2] - البصرة: أمر بتخطيطها وتمصيرها الخليفة الفروق عمر بن الخطاب حينما تم فتح له فتح بلاد العراق في عام 14هـ/635م ويقال أن معناها اللغوي هو الأرض الغليظة الرخوة الضارية الى البياض وقيل بل هي الحجارة الرخوة تضرب إلى البياض .... قصي الحسين، من معالم الحضارة العربية الاسلامية، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت (لبنان)، 1993، ص 9.

[3] - أبو عبيدة بن أبي كريمة التميمي 145هـ/762م أصله من فارس وهو الامام الثاني للاباضية وله دور كبير في تنظيم دعوتها أخذ العلم عن جابر بن زيد وقد روى عن الكثير من الصحابة .... أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 55.

[4] - ابي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، المصدر السابق، ص 19-26.

ويتحدث عن جهود الدعاة الاباضيون وتلاميذهم وأتباعهم في سبيل الغلبة على الولاة العباسيين وإعلان إمامة الظهور ويخبرنا بشكل مفصل وبأسلوب يعكس وجهة نظر الاباضية عن تأسيس أول إمامة ظهور اباضية في شمال افريقية وانتخاب ابي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري أول إمام في عام 140هـ/ 757م وفي هذا الصدد يتحدث الدرجيني باختصار عن كيفية بيعة الإمام وعن عقد البيعة ويمكن للباحث أن يستنتج باختصار منها بعض المعلومات عن نظرية الاباضيين السياسية في الحكم.

ويتحدث الدرجيني عن الصراع بين العباسيين والاباضيين في عهد الامام أبي الخطاب السالف الذكر كما يحدثنا عن النزاع بين الاباضية والصفرية [1]خلال العقد الخامس من القرن الثاني للهجرة، ويزودنا أيضا بمعلومات جيدة عن الصراع بين الاباضية في المغرب وبعض القبائل البربرية التي لم يتمكن الاسلام من نفوس أفرادها مثل قبيلة ورفجومة [2]البربرية في منطقة القيروان وأثناء حديثه عن هذه المنازعات بمعلومات مختصرة ولكنها مفيدة حول مفهوم الجهاد عن الاباضيين.

ويستمر الدرجيني في الحديث عن النزاع العسكري بين الاباضيين والولاة العباسيين ابان امامة أبي حاتم الملزوزي[3] الذي انتخبه الاباضيون أمام دفاع لهم 145هـ / 762م ولكن التفاصيل التي يعطيها لنا الدرجيني في هذا الشأن قليلة مقارنة بتلك التي توردها المصادر غير الاباضية.

[1] - الصفرية: هناك خلاف واسع حول نسب الصفرية هل سموا بذلك للصفرة التي تعلو وجوههم من أثر العبادة والزهد أم سموا بذلك نسبة إلى رجل بعينه وأصحاب هذا الرأي الأخير اختلفوا في هوية الرجل الذين ينتسبون اليه وهم أقل علوا من الازارقة .... عارف نام، تاريخ الاسماعيلية من المغرب إلى المشرق، الطبعة الأولى المكتبة البريطانية، بريطانيا، 1991، ص 60.

[2] - ورفجومة: أحد بطون نفزاوة يقول ابن خلدون وكان ورقجوم هؤلاء أوسم بطون نفزاوة وأشدهم بأسا وقوة ... ابن خلدون، المصدر السابق ،ص 150.

[3] - ابي العباس احمد بن سعيد الدرجيني ، المصدر السابق ، ص 27- 34.

لفترة أبي حاتم الملزوزي الذي توفي عام 155هـ / 772م ويتجاهل كليا فشل الاباضية والصفرية في حصار طبنة [1]بالمغرب الأوسط عام 151هـ/ 768م.

ويعطينا الدرجيني معلومات جيدة عن تاريخ الدولة الرستمية منذ تأسيسها عام 160 هـ / 777م وحتى سقوطها على أيدي الفاطميين في العقد الأخير من القرن الثالث هجري، ويتحدث أيضا عن انقسام الحركة الاباضية في شمال افريقية إلى فرق مختلفة متنازعة فيما بينها ويسمى هذه الفرق الجديدة ويتحدث عن معتقداتهم وعن أوجه الخلاف بين كل منها وبين الفرقة الاباضية الرئيسة التي عرفت باسم الوهبية، أما الفرق الجديدة التي انشقت عن الفرقة الرئيسة فهي النكارية والخلفية والنفثية والقرنية والسكاكية" [2].

ويمكن القول ان المعلومات التي يوردها الدرجيني حول نشأة هذه الفرق ومعتقداتها وعلاقاتها فيما بينها تعتبر من أفضل ما وصل الينا بالإضافة الى تلك التي أوردها المؤرخ السني ابن الصغير المالكي في كتابه تاريخ الائمة الرستمين [3].

ويتحدث الدرجيني بإسهاب عن ثورة أبي يزيد بن مخلد بن كيداد النكاري[4] وعلى الرغم من أن أبي يزيد كان من علماء الاباضيين المشهورين في شمال افريقية ورغم أن ثورته كانت موجهة ضد الفاطميين أعداء الاباضية اللدودين الا أن الدرجيني لا يخفي تميزه ضده ويسمى ثورته فتنة ويسهب في الحديث عما يصفه بفساد وتخريب أبي يزيد[5].

[1] - طبنة وصفها أبو عبد الله البكري الجغرافي الاسلامي بأنها مدينة عظيمة كثيرة المياه والبساتين والزرع والقطن والحنطة والكتان وغير ذلك من الحبوب وهي تبعد عن بريكة ب4 كلم...الطيب بو سعد دور علماء طبنة في العصور الاسلامية الوسطى مجلة الواحات للبحوث والدراسات غرداية، الجزائر، العدد الثالث، 2008، ص 02.

[2] - عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضية، المرجع السابق ص 133-168.

[3] - ابي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، المصدر السابق، ج1 ص 46-91.

[4] - أبي يزيد بن مخلد بن كيداد التكاري : المؤسس الأول للحركة الدينية الخارجية في شمال افريقيا نشأ في وأبي توز واعتنق مذهب الخوارج ثم أضاف اليه أفكار وقاد ثورة في سنة 316هـ وتقب بصاحب الحمار .... عارف تام المرجع السابق، ص 22-23 .

[5] - ابي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، المصدر السابق، ج1 ص96-104 .

ولعل السبب في ذلك يعود الى كون أبي يزيد من زعماء فرقة النكار الاباضية بينما كان الدرجيني ينتمي إلى الفرقة الاباضية الرئيسية المعروفة باسم "الوهبية"، وعلى أية حال فان معلومات الدرجيني حول أحداث هذه الثورة وتفصيلاتها ذات قيمة كبيرة وفائدة جمة بعد تدقيقها وتمحيصها ومقارنتها بما تورده مصادر أخرى، ويمكن الحصول على معلومات متوازنة عن ثورة أبي يزيد بمقارنة معلومات الدرجيني مع ما يورده معاصره المؤرخ الشيعي أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد (ت 628هـ / 1187م) في كتابه "أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم" الذي يعتبر مصدرا جيدا على فرقة النكار الاباضية وزعيمها أبي يزيد مخلد بن كيداد وتبدو نزاهة ابن حماد فيما يتعلق بهذا الموضوع واضحة جلية.

بالإضافة الى ما سبق فان الدرجيني يتحدث عن ثورة وطالب الحق[1] حمزة الشاوي[2] في حضر موت[3] والحجاز في أواخر العقد الثالث من القرن الثاني هجري، ويعطي معلومات فريدة حول علاقة الثوار بأئمة الكتمان في البصرة وعن طبيعة المساعدات التي تلقاها طالب الحق في بداية حركته، أما الدرجيني أقل تفصيلا ودقة من تلك التي تعطيها المصادر الغير اباضية وخاصة البلاذري في أنسابه وأبي الفرج الاصفهاني في أغانيه.

ويعطي الدرجيني معلومات سياسية مختصرة ومبعثرة في ثنايا كتابه وخاصة عن العلاقات بين الدول الرستمية و الاباضية وبعض الدول الإسلامية الاخرى مثل الاغالبة والامويين في الاندلس، كما يزودنا بمعلومات مختصرة عن بدايات تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ويتطرق إلى النسب الفاطمي ويشدد

[1] - طالب الحق: هو عبد الله بن يحي بن عمر الكندي الملقب بـ"طالب الحق" وهو امام اباضي من اليمن خلع طاعة مروان وابن محمد وبويع له بالخلافة استولى على الصنعاء ومكة... أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، سير الائمة وأخبارهم تحقيق اسماعيل العربي، الطبعة الثانية، دار الغرب الاسلامي بيروت (لبنان)، 1982ء ص 132 .

[2] - حمزة الشاوي: هو المختار بن عوف بن مالك الازدي البصري أبو حمزة ثائر اباضي من رجال طالب الحق الذي التهي سنة 128 وبايعه بالخلافة في حضر موت وتوجه أبو حمزة لشام لقتال مروان بن محمد فاستولى على مكة في طريقه ثم قاتل أهل المدينة وواصل سيره نحو الشام وقتل سنة 130 أبو زكرياء ، المصدر السابق، ص 132.

[3] - حضر موت ام بلدة وقبيلة أيضا ولها ذكر في التوراة وهناك خلاف في سبب تسميتها بهذا الاسم، تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من بلاد اليمن يحدها شمالا صحراء الربع الخالي ومن الجنوب البحر العربي.....أمين بن أحمد بن عبد الله السعدي، الصوفية في حضر موت نشأتها – أصولها آثارها الطبعة الأولى مكتبة فهد الوطنية، الرياض – السعودية، 2008، ص 21-22 .

على الفكرة القائلة بالشك في نسب الفاطميين، مبينا في ذلك رأي الاباضية حول أصل الخلفاء الفاطميين وشرعية انتمائهم إلى أل البيت[1].

ويشير الدرجيني في كتابه الى العلاقات بين الفاطميين وبعض الاباضيين في شمال افريقية بعد سقوط الدولة الرستمية ويعطي معلومات جيدة عن انتشار الدعوة الاباضية في مصر من خلال حديثه عن الخلاف الذي نشب بين ابنه عبد الوهاب اماما للاباضية ويوضح الدرجيني دور أباضية مصر في النزاع الذي أدى الى الافتراق الأول بين اباضية شمال افريقيا وبروز فرقة النكار التي سميت كذلك لأنها أنكرتامامة عبد الوهاب وطعنت بشرعية انتخابه .

المعلومات الفكرية

يزودنا بمعلومات هامة عن نشأة المذهب الاباضي في البصرة وانتشاره في بقية الامصار ولكن هذه المعلومات لا ترد بصورة متسلسلة وانما ترد بشكل غير منسق لذا فعلى الباحث أن يتعمق في قراءته للتزود بها والتي جاءت من خلال عرض الدرجيني الأخبار الائمة والمشايخ الاباضيين".

ويبين لنا الدرجيني دور جابر بن زيد [2] وأثره الكبير على أفكار الاباضيين.

- يعرض لنا الدرجيني أيضا معلومات عن العقائد الأباضية كما يزودنا بمعلومات حول بعض المسائل الفلسفية مثل القدر وخلق القرآن.

- يفصل أيضا في معتقدات مختلف الفرق الأباضية وعلاقتها بالفرقة الرئيسية[3] .

[1] - ابي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، المصدر السابق، ج1 ص 49-123.

[2] - جابر بن زيد الأزدي اليحمدي مولاهم البصري الخوفي والخوف ناحية عمان، كان عالم أهل البصرة في زمانه يعد مع الحسن وابن سيرين وهو من كبار تلامذة ابن عباس حدث عنه عمرو بن ينار وأيوب السختياني وقتاده أخرون روعى عطاء عن ابن عباس قال: لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد الأوسعهم علما عما في كتاب الله ، وروى عن أبي العباس أنه قال: تسألوني وفيكم جابر بن زيد... محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، دن، 1422هـ/2001، ص 482.

[3] - ابي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، المصدر السابق، ج1 ص4 -32.

يستعرض الدرجيني أيضا بعض المجادلات والمناقشات الفكرية بين المعتزلة وأتباع المذهب الاباضي حول بضعة من المشاكل الفلسفية ، أيضا يمكن الاستفادة من كتاب الدرجيني في معرفة أهم الانجازات الفكرية لمشايخ الأباضية، ويعطينا أيضا أسماء، وفي بعض الأحيان نجد الدرجيني يورد بعض القدرات وينسبها للمشايخ يسميها هو بالكرامات وهي أشياء لا يقبلها العقل [1].

معلومات خاص بأخبار رجال الاباضية

يزودنا بكثير من المعلومات حول رجال الاباضية بشكل دقيق ومفصل ويستعرض الكثير من رجال الاباضية وأخبارهم.

ثانيا: المعلومات الاقتصادية والاجتماعية

مثل المعلومات الفكرية نجدها متفرقة وتحتاج إلى تعمق كبير من الباحث لإيجادها إلا أنها ليست بالمعلومات الكبيرة الدقيقة .

فيما يخص الجانب الاجتماعي هو الأخر يحتاج لتركيز من الباحث حيث أن الدرجيني يستعرض بعض المعلومات من خلال سير المشايخ حيث يذكر أنسابهم وقبائلهم مرات عديدة وكما يشير الدرجيني إلى دور المرأة الاباضية وخاصة في حلقات الدرس ويمنحنا أيضا معلومات حول سلوك رجل العزابة الاجتماعي من حيث أداب الأكل وكذا مواقيت النوم وأيضا يبين لنا علاقة رجال العزابة بمجتمعهم ، فمثلا في الفاكهة يذكر المصدر انه تكون في وقت الضحى بعد استكمال التصحيح وكذلك عد العصر بعد قراءة اللوح مرة او اثنين [2].

أيضا يذكر الدرجيني بعض الكرامات ويسهب في الحديث عنها وينسب لهؤلاء المشايخ قدرات عظيمة مثل عبد الرحمان بن معلى الذي يقول فيه هو أول من أسس الحلقة بمسجد تقورت وأحكم عقودها وأوثقها وقيدها وحقق قوانينها وتيممها طلاب الخير من جميع الافاق ...[3] .

[1] - ابي العباس احمد بن سعيد الدرجيني : المصدر السابق ، ج2 ، ص 320 – 456.
[2] - المصدر نفسه ، ج1 ، ص 171-176.
[3] - المصدر نفسه ، ج2 ، ص281.

مصادر ابن العباس أحمد بن سعيد الدرجيني

اعتمد الدرجيني على عدد معتبر من المؤلفات منها الاباضي والغير الاباضي :

- أبو سفيان محبوب بن رحيل العبدي: عاش في القرن الثاني هجري وهو ينتمي الى الطبقة الرابعة، كان أحد شيوخ الاباضية في البصرة عاصر كل من أبي عبيدة المسلم خلال مرحلة الكتمان وقد ألف كتابا ضخما في سيرة المذهب الاباضي ورواياته تعتمد على معظم المؤلفين الاباضين في المشرق والمغرب[1].

واستفاد الدرجيني من مؤلفات أبي سفيان واعتمد عليه في ذكر اخبار اباضية المشرق وأيضا المعلومات حول نشأة المذهب الاباضي وتكمن أهمية هذه المعلومات في كون أبو سفيان كان معاصرا لهاته المرحلة.

- أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الوفسطائي النفوسي: ولد في أواخر القرن الرابع بنفوسة ثم انتقل بعد ذلك الى جربة ثم بعدها الى القيروان وأمضى بعض الوقت في الحامة ليصبح بعد ذلك واحدا من أبرز علماء الاباضية ثم صار زعيما منذ عام 409هـ / 968م ولديه عديد من المؤلفات وتعلم على يده الكثير من مشايخ الاباضية الذين جاءوا بعده [2].

- الربيع بن حبيب الفراهيدي: من مؤسسي الفرقة الاوائل خلف أبي كريمة في زعامة المذهب الاباضي وله مؤلف المسند وهو كتاب الحديث المعتمد عند الاباضية[3].

- أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الورجلاني: لا يعرف له تاريخ وفاة ولا ميلاد ولد في ورجلان ينتمي للطبقة العاشرة وألف كتاب السيرة وأخبار الائمة ويقدم الكثير من المعلومات عن الدولة الرستمية وكما أسلفنا الذكر فان الدرجيني اعتمد عليه بشكل كبير جدا في الجزء الأول من كتابه [4].

[1] - احمد بن عبد الواحد الشماخي : المصدر السابق ، ص 17.
[2] - ابي العباس احمد بن سعيد الدرجيني ، المصدر السابق ، ص 206.
[3] - المصدر نفسه ،ص 210.
[4] -المصدر نفسه ،ص 273 .

- أبو سهل يحي بن ابراهيم بن سليمان الورجلاني: عاش في نهاية القرن السادس هجري وأوائل القرن السابع هجري تتلمذ الدرجيني على يديه.

كل هؤلاء هم مصادر أباضية لكن الدرجيني اعتمد على مصادر غير أباضية ايضا وهي :

- الرقيق القيرواني: توفى عام 417هـ / 976م له مؤلف كتاب تاريخ افريقية والمغرب"[1]

- أبو العباس محمد بن يزيد توفي عام 285هـ/844م مؤلف كتاب الكامل" في الادب واستفاد منه الدرجيني في معرفة أخبار بلال بن أبي مرداس وأخيه عروة[2]

أخذ الدرجيني معلومات أيضا عن الجاحظ وابن قتيبة.

- أبو عمرو عثمان بن خليفة : من رجال الطبقة الحادية عشر برع في عديد العلوم خاصة في علم الكلام له مؤلف كتاب "التسؤالات" وكتاب اخر بعنوان "رسالة في بيان كل فرقة"[3] .

- أبو عمار الكافي بن أبي يعقوب التناوتي الورجلاني: عاش في القرن السادس أخذ عنه الدرجيني طريقته في تقسيم الكتاب وله مؤلفات كثيرة تشهد بسعة علمه واطلاعه ؟[4]

- أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني: عاش هو الآخر في القرن السادس هجري كان أحد شيوخ الحلقة الاباضية الكبار اشتهر بمعرفة الاخبار والسير وألف كتاب "السير" الذي يمنحنا معلومات هامة حول الحركة الاباضية في شمال افريقية خلال الايام الاخيرة للدولة الرستمية وحتى القرن السادس هجري.[5]

- أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي : عاش في القرن خامس هجري أحسن العلم عن مؤسس العزابة أبو عبد الله محمد بن بكر ثم أصبح أحد أعضاء العزابة الذين يقصدهم التلاميذ من مختلف الامصار[6].

[1] - ابي العباس احمد بن سعيد الدرجيني : المصدر السابق ، ج2 ، ص 214.
[2] - المصدر نفسه ، ص 508.
[3] - احمد بن سعد بن عبد الواحد الشماخي : المصدر السابق ، ص 441.
[4] - المصدر نفسه ، 431.
[5] -المصدر نفسه ، 420.
[6] - المصدر نفسه ، ص 412.

الفصل الثاني : ظهور الدعوة الاباضية بالمشرق وانتقالها إلى بلاد المغرب

الفصل الثاني: ظهور الدعوة الاباضية بالمشرق وانتقالها إلى بلاد المغرب

المبحث الأول: فرقة الإباضية كأحد فرق الخوارج

ظهرت الخوارج واقعيا بعد معركة صفين [1] التي دارت بين الأمام علي ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قاطرات فرقة من جيش الامام على سموا بالخوارج والقسم الخوارج إلى أكثر من عشرين فرقة أهم هذه الفريق أربعة وهي:

1-الأزارقة : هم نسبة إلى نافع من أزرق الحلفي المكنى بأبي راشد[2] وكانت هذه الفرق من أقوى فرق الخوارج وأشدهم شركة وأكثرهم عددا[3] وتلفت هذه الفرقة الضربات الأولى من الزير والأمرين حيث فاق الازارقة بقيادة نافع أحد قواد عبد الله بن الزبير والأمويين لمدة تسعة عشر سنة وقد قتل نافع بن أزرق في القتال ثم خلفه الطري من القمامة[4] ، وكان نافع ابن الأزرق من أكبر فقهائهم وقد كفر جميع المسلمين ما عداهم وتقول نظريتهم في الخلافة على حرية اختيار الخليفة من قبل جميع المسلمين[5].

فاذا تم اختيار الخليفة فلا يصح أن يتنازل وليس بالضروري أن يكون خليفة من قريش بل يمكن أن يكون من غيرها ولو كان عبدا حيثيا، ويجب أن يخضع خضوعا لاما لأمر الله والا ثم عزله[6]".

---

[1]-دارت بين جيش علي بن أبي طالب وجيش معاوية بن أبي سفيان في شهر صفر سنة 37 هـ انتهت بوثيقة التحكيم، وصفين هي موضع بين العراق والشام....مهى خليفة حسين عمر ، أسباب سقوط الدولة الأموية، كلية الآداب قسم التاريخ، جامعة الخرطوم، د.س، ص 3- 4.

[2]- أبي راشد نافع بن الأزرق: بن قيس الحنفي البكري كان على قدر كبير من الشجاعة وعلى معرفة بالقرآن ومقدرة على الخطابة ويقال أنه كان ينتجع عبد الله بن عباس وهو بمكة يسأله عن تفسير القرآن... أحمد محمد أحمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة، الطبعة الأولى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1986، ص 53.

[3]- عبد القاهر البغدادي الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الطلائع، القاهرة، 2005، ص 68.

[4]- - قطري(أبو نعامة) : ابن فجاءة واسمه جعونة ابن مازن بن يزيد الكناني المازني التميمي من رؤساء الازارقة وأبطالهم من أهل قطرا قرب البحرين" كان خطيبا فارسا شاعرا استفحل أمره في زمن مصعب بن الزبير ...خير الدين الزر كلي: الاعلام، الطبعة الخامسة، دار العلم الملايين بيروت (لبنان)، 1980، ج 5 ص ،2000.

[5]أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، دن، 1966، ص 57.

[6]أمين أحمد، فجر الاسلام، الطبعة الأولى المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص235.

2- النجدات: هم أتباع نجدة بن عامر[1] الحنفي استقلوا عن الازارقة، والسبب في ذلك هو إعلان نافع بن أزرق البراءة من القعدة عنه بعدما أن كانوا على راية واحدة وسماهم مشركين" واستحل قتل أطفال مخالفيه ونسائهم[2].

ومن أهم تعاليم نجدة بن عامر نجد أن المخطأ بعد أن يجتهد معذور أن الدين أمران، معرفة الله ومعرفة رسوله وما عدا ذلك فالناس معذورين بجهله إلى أن تقوم عليهم الحجة ومن أداه اجتهاده إلى استحلال الحرم أو تحريم خلال فهو معذور، وعظيم جريمة الكذب على الزنى وشرب الخمر[3] .

أما نظريتهم حول الخلافة فتنص على إقامة إمامة أو أمام ليست واجبا شرعا بل هي واجب وجوبا مصلحيا بمعنى أنه اذا أمكن المسلمين أن يتواصوا بالحق فيما بينهم وينفذوه فلا حاجة إلى إقامة إمامة[4].

3 – الصفرية : هم أتباع زياد بن أصفر[5] خلاف الصفرية الازارقة في بعض تعاليمهم حيث أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال إذ كانوا موافقين في الدين والاعتقاد ولم يسقطوا الرحمة ولم يحكموا بقتل أطفال مشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار وقالوا التقية جائزة في القول دون العمل وقالوا: ما كان من الاعمال عليه حدا واقع فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه به الحد كالزنى والسرقة والقذف فسمي زانيا سارقا قاذفا لا كافرا مشركا[6].

---

[1] نجدة بن عامر : نجدة بن عامر بن عبد الله بن ساد بن المفرج الحنف كان مع نافع بن الأوراق ففارقه الاحداثه في مذهبه، مذهبه ما سبق ذكره واليه ينسب مذهب النجدات لكن حدث أن فارقه قوم و ولوا عليهم أيا فديك عبد الله بن ثور وكان موته على يد هذه الجماعة في 72هـ... عز الدين أبي الحسن على بن أبي مكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ابن أثير، مراجعة يوسف الدقاق الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ،(لبنان)، 1987، ج 4 ، ص 201-206 .

[2] البغدادي، المصدر السابق، ص 71.

[3] أمين أحمد المرجع السابق، ص 237-238

[4] أبو زهرة، المرجع السابق، ص 73.

[5]- زياد بن الأصفر: رأس الصفرية وأحد الذين ينسب إليهم المذهب ويقال لهم الزيادية أيضا ... صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، الوافي بالواقيات، تحقيق أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان)، 2000، ج15، ص 05.

[6] - أبي فتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني (479-548هـ/1086-1153م)، المال والنحل، تحقيق أبي فهمي، دار الكتب العلمية، د.ن ،1992، ص 110.

انتشر أصحاب هذا المذهب أيضا في المغرب العربي إلى جانب الاباضية فقد وجدوا لهم موطننا في القيروان فكان من قبائل البربر الداخلين في الصفرية، إضافة إلى جماعات السودان القاطنين جنوب الصحراء وكان ذلك قد تم بواسطة أحد دعاتهم في واحة سجلماسة التي اتخذها مقرا لنشر دعوتهم، ولقد رحب سكان المغرب الإسلامي بدعوات الخوارج والتي نادت بالمساواة دون تمييز للعنصر أو اللون، وهكذا تتغلل المذهب الصفري في سائر أرجاء المغرب الأقصى وبعض نواحي افريقية والمغرب الأدنى، بين العرب والبربر والسودان [1].

4- الإباضية : هم أصحاب عبد الله بن أباض التميمي[2] الذي خرج في أيام مروان بن أحمد أخر خلفاء الدولة الأمامية وجاء اسم الاباضية نسبة إليه وقد عرف عن عبد الله بن أباض بأنه كان مدافعا عن الحق لأهل السوء معترضا للباطل عن الانتشار والإشاعة في بلاد المسلمين محاميا عن أهل الحق مناصرا لهم سيفا ماضيا لا يثنى عن رد الباطل، فلا يقصر في مناصر حقا حد استطاعته .

كان البصرة مركزا للدعوة الاباضية ومنها انتشر هذا المذهب في الأمصار حيث كان يرسل بالدعاة إلى مختلف الأمصار بعد تلقيهم أصول الدعوة وتدريبهم على أساليب نشرها ولديهم تنظيمات سرية ومجالس تعليمية تعقد في السراديب أو في بيوت بعض النسوة، فقد كانت الدعوة الاباضية في هذه المرحلة تمر بمرحلة الكتمان والسرية فقد كان شيخ الاباضية أبو عبيدة بن مسلم مستخفيا متخوفا من بعض أمراء البصرة فغالبا ما يدخل الطلاب في سرداب وتوضع سلسلة داخل السرداب متصلة إلى خارجه ويقف شخص في الخارج يعمل على تحريك هاته السلسلة عند مشاهدته لشخص غريب قادم لكي لا يفتضح أمرهم فإذا غادر استمروا في عزمهم وهكذا استطاع أبي عبيدة بن مسلم أن يعد عددا[3] كبيرا من الطلبة القادرين على حمل راية العلم على أصول هذا المذهب، ومن أهم فرق الاباضية

نذكر: الحفصية ، الحارثية وأصحاب الطاعة[4] .

---

[1] -اسماعيل محمود الخوارج في المغرب الإسلامي، دار الدعوة، بيروت، 1976، ص 44،50.

[2] - عبد الله بن أباض بن تميم بن ثعلبة من بني مرة بن عبيد رهط الأحنف بن قيس أل مقاسع التميمي، نشأ في البصرة واليه ينسب مذهب الإباضية وتوفي سنة 86هـ/705م. الشماخي: المصدر السابق ،ص 72.

[3] - أمين أحمد المرجع السابق، ص 237.

[4] - عبد الله الحميد أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة الإباضية بين الجهالة والإمامة ، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة جامعة الأزهر، مصر 2009 ص 5.

المبحث الثاني: ظهور الدعوة الاباضية بالمشرق

لا بد من التطرق للدعوة الاباضية بالمشرق أولا أين ظهر المذهب قبل أن ينتقل إلى بلاد المغرب وكحال جميع المذاهب الجديدة فقد بدأت الدعوة الاباضية سرية قبل الظهور إلى العلن وقد اعتمدت الدعوة في أولى مراحلها على تنظيم سري محكم لضمان استمرارها وخوفا من السلطة الحاكمة أنداك وتنسب الدعوة الاباضية إلى عبد الله بن أباض حيث يقول الدر جيني : كان عبد الله بن أباض إمام أهل الطريق وجامع الكلمة لما وقع التفريق فهو العمدة في الاعتقادات والمسن الطرق الاستدلالات والاعتمادات... وكان رأس العقد ورئيس من البصرة وغيرها من الأمصار[1]، وهكذا فان الدر جيني يؤكد على أن عبد الله بن أباض كان هو زعيم تنظيم الاباضية وهو المتحكم في مختلف الأقطار التي تنتشر بها الدعوة.

أما الزر كلي فيؤكد على اختلاف المؤرخون في سيرة وتاريخ وفاة عبد الله بن أباض المقاسع المري التميمي وان هذا الأخير كان معاصرا لمعاوية وعاش إلى أواخر أيام عبد الملك بن مراون، وفي ذلك يقول الشماخي أنه كان كثيرا ما يبدى النصائح لعبد الملك بن مروان [2].

ورغم أن الاباضية تنسب الى عبد الله بن أباض إلا أن العمل السري لدعوة الاباضية لا ينسب إليه بصورة مباشرة فأغلب المصادر تؤكد على أن جابر بن زيد هو أول من قام بتنظيم الدعوة لكن هناك ارهاصات لهذا العمل قبل جابر بن زيد .[3]

[1] - ابي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، المصدر السابق، ج 2، ص 214 .

[2] - أبو الوليد عبد الملك بن مراون بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي (26-86/646-705م) الخليفة الخامس من خلفاء بن أمية... عبد الحليم عويس الدولة الأموية بين السقوط والانتحار، دن، القاهرة، مصر، ص 25 .

[3] - جابر بن زيد الحوفي البصري من قبيل اليحمد تتلمذ على يد البصير من الصحابة والتابعين .... ابن العباس أحمد بن سعيد الدرجيني: المصدر السابق، ج 2 ، ص 308 .

فحسب ما ورد في كتاب طبقات المشايخ" لدرجيني فانه بإمكاننا إرجاع الدعوة السرية إلى أيام زيد وابنه عبد الله حيث يقول: "ما بلغنا أنه ظفر بهم في مجلس قط، إلا أنهم كانوا ذات مرة في عهد زياد ابن ابنه[1] أتاهم الخبر بأن الخيل تريدهم قال فخرجوا مسرعين ، ويذكر الدرجيني أن كلا من أبي بلال مرداس بن أدية وأخوه عروة هما أول من قال بالتقية والتستر التي أصبحت فيما بعد منهج الاباضيين في الدعوة يقول الدرجيني: أنه لما علم عبيد الله بم زياد يريد البطش بامرأة اسمها البلجاء نصحها قائلا إن الله قد وسع عن المؤمنين في النقية فاسترى...[2]

وقد زج بأبي بلال في السجن أيام زياد الا أنه بعد خروجه من السجن قرر الخروج مع أصحابه: ..... والله لا يسعنا بين هؤلاء الظالمين تجري علينا أحكامهم.... ، وكان هذا الخروج هو سبب في أن يبعث عبيد الله من يقتفي أثره ويقتله مع أصحابه أما أخوه عروة فقيل أنه قتل في سرداب .

أما عن الطريقة التي يقيمون بها مجالسهم فيذكر إنهم كانوا يأتون متنكرين في أزياء للنساء فيقول الدرجيني: .... كانزا يأتون المجالس أيام زياد وابنه في هيئة نساء..... لكن كما أسلفنا الذكر فان أغلب المصادر تنسب الفضل في تنصيب الدولة إلى جابر بن زيد والذي تعمق في دراسة العلوم الشرعية وقضى معظم حياته العلمية في البصرة وكان يحث طلابه على إقامة الإمامة العادلة المبنية على أصول الصحيحة للإسلام[3] .

[1] - زياد ابن أبيه ولد عام الفتح أي سنة 08هـ وهناك اختلاف حول تاريخ ولادته وتوفي سنة 53هـ/672م وهناك أيضا خلاف حول نسبه تميز بالبلاغة والخطابة فهو أحد الخطباء اللامعين المشهورين في العرب بالفصاحة عينه الفاروق كاتبا وكان واحد من أبرز ساسة الدولة الاموية... صالح محمد الرواضية، زياد ابن أبيه ودوره في الحياة العامة في صدر الإسلام، الطبعة الأولى، منشورات جامعة مؤتة، 1994،ص 29-51.

[2] - ابي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، المصدر السابق، ج 2 ص214- 249.

[3] - المصدر نفسه ، ص 217-222.

بدأ نشاط جابر بن زيد أيام الحجاج بن سوف الثقفي (76-96هـ/635-655م) وقد كان بينهما علاقة طيبة في أول الأمر حتى أن الحجاج عرض على زيد منصب القاضي الا أن زيد رفض ذلك[1] .

وقد كان جابر بن زيد ذو علم كبير ويشهد له العديد من العلماء بذلك يقول الدرجيني: ....منهم جابر بن زيد الأزدي رحمه الله بحر العلوم العجاج وسراج التقوى، ناهيك به من سراج أصل المذهب واسد الذي قام على تنظيمه... وهكذا فان الدرجيني يؤكد على سعة اطلاع جابر بن زيد وعلى أنه هو من يعود اليه الفضل في تنظيم الدعوة السرية والسهر على المذهب الا أنه لا يذكر الكثير عن نشاطه السري سوى قوله : "...دخل أبو نوح على عاتكة بنت المهلب بن أبي صفرة وكانت من المسلمات فقال كأني أرى مجلس رجال قالت الان خرج من عندي الاحول تعني جابرا قال كان يغمس بإحدى عينيه من غير علة فقال فهل ظفرت منه بشيء قالت نعم سألته عن ثلاثة أشياء كن في نفسي.....[2]

وهذا يدل على أن جابر بن زيد كان يعمل على نشر مذهبه بين أتباعه من خلال مجالس تعقد عند النساء في منازلهن وخاصة من قبيلة بني المهلب والتي كانت له معهم علاقة حسنة، كما ان جابر ولعلمه الكبير كان ينجح في استقطاب الناس الى مجالس عامة في البصرة لتدريس أحاديث والفتاوي، الا أن الامور ساءت فيما بعد بالنسبة لجابر ان ساءت علاقته مع الحجاج [3]وتم نفيه الى عمان وهناك أيضا عمل على نشر مذهبه.

[1] - ابي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني المصدر السابق ، ج 2 ص 211

[2] - المصدر نفسه ، ج2 ، ص 205-255.

[3] - الحجاج بن يوسف الثقفي هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن عوف بن قسي ولد بقرية الكوثر من قرى الطائف في سنة 41هـ كان عالما بتفسير القرآن ورواية الحديث حافظا لكثير من أشعار العرب وأيامهم نجح في فتح مكة وقتل الزبير بعدما قاد حملة عسكرية ضده وعين واليا على العراق فيما بعد... محمود زيادة الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، الطبعة الأولى دار السلام الغورية، 1995، ص 09-72.

خلف أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة جابر بن زيد وذلك بعد خروجه من السجن سنة 96هـ/655م ويطلق الدرجيني على هذه المرحلة بـ "ملازمة الأمر سر بلا إمام أي أنها المرحلة التي تسبق إعلان الإمامة والظهور للعلن وهذا ما جعل الاباضية تنجح في إقامة دولة فيما بعد ويدل أيضا على ذكاء وحنكة الاباضيين [1].

أما عن جهود أبو عبيدة مسلم فقد أيقن أن عليه نشر دعوته في الأمصار البعيدة على عيون الخلافة ولا يتسنى له ذلك الا من خلال تكوين أئمة ينشرون مذهب الاباضية في تلك المناطق وكان أبو عبيدة يعقد العديد من المجالس حيث يذكر الدرجيني كنا بمنى في خباء عبيدة... وفي الخباء فقهاء من مشائخ من أهل حضرموت فقهاء علماء ، ولعل سبب اهتمام أبي عبيدة بالحج يرجع إلى وفود الناس من مختلف الجهات فكان يستغله لنشر مذهبه، كما كان يقيم مجالس سرية يعلم فيها طلبة قادمين من مختلف الجهات في سردايب متخفين وقد وقد إليه الطلبة من عديد الأمصار (اليمن) والمغرب...[2]

[1] - ابي العباس احمد بن سعيد الدرجيني : المصدر السابق ، ج1 ، ص 6.
[2] - المصدر نفسه ، ج2 ، ص 242-243.

المبحث الثالث: انتقال الدعوة الاباضية إلى بلاد المغرب

تعد الاباضية من أوائل المذاهب التي دخلت بلاد المغرب حيث استغل الاباضيون ظروف السكان الصعبة نتيجة معاملة الولاة السيئة حيث وصل إلى بلاد المغرب داعية اباضى يدعى سلمة بن سعيد [1]

حيث يقول الدرجيني: "حدث غير واحد من أصحابنا عن الإمام أفلح عن جده عبد الوهاب عن جده عبد الرحمن بن رستم أنه قال أول من جاء يطلب مذهب اباضية ونحن بقيروان افريقية سلمة بن سعيد قال قدم علينا من أرض البصرة ومعه عكرمة ومولى ابن العباس متعقبين على بعير فسلامة يدعو إلى مذهب الاباضية وعكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية.....

وكما قلنا سابقا فان عبيدة كان يركز على تكوين الطلبة ثم أفادهم للأمصار البعيدة وبلاد المغرب كانت من المناطق التي حظيت باهتمام منه فأوفد إليها سلمة بن سعيد ولا يعرف متى وصل إلى بلاد المغرب بدقة ولا المدة التي قضاها فيها ولم يذكر الدرجيني كيف كان يعقد حلقاته.

واستغل سلمة الظروف لبث الدعوة في سكان البربر وقد نال استحسانهم الدعوة إلى المساواة والثورة على الحاكم هو و ابن مغيطر الجنباوي[2] لكن لا يرد ذكره في طبقات المشايخ للدرجيني لكن تذكر المراجع أنه نشط في جبل نفوسة وانه كان له أثر كبير في نشر الدعوة الاباضية .

[1] - سلمة بن سعيد بن علي بن أسد الحضرمي اليمني (135هـ/735م) عالم عامل داعية، صنفه الدرجيني في طبقاته في طبقات تابعين التابعين.. محمد بن موسى بانيا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول هجري إلى العصر الحاضر قسم المغرب الإسلامي ،ط2، دار المغرب الإسلامي، المطبعة العربية غرداية ،2000، ج2 ،ص189.

[2] - هو محمد ابن عبد الحميد بن مغيطرالنفوسي الجنباوي (160هـ /776م) شيخ فاضل وعالم ففيه من قرية ايجناون بجبل نفوسة ويعد من أوائل اباضية المغرب، محمد بن موسى بابا عمي وآخرون المرجع السابق، ج 2 ، ص 385

دور حملة العلم

هم خمسة طلاب أربعة منهم من بلاد المغرب تنقلوا إلى البصرة للتعلم على يد عبيدة بن مسلم بن أبي كريمة وكل واحد منهم هو من منطقة مختلفة وهذا يدل على أن المذهب الاباضي كان قد انتشر فعلا في عدة مناطق ولا يذكر الدرجيني كيف التقى حملة العلم الخمسة وفيما يلي ترجمة لهم :

1- **أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافيري** : أصله من اليمن واخذ العلم عن أمام الاباضية وقتئذ أبي عبيدة مسلم في مدينة البصرة وبعد خمسة سنوات من التلقين اتجه زملائه المغاربة إلى بلادهم بعد أن أوصاهم شيخهم بالإعلان الإمامة أن أنسوا من أنفسهم قوة وأشار عليهم بعقدها لأبي الخطاب ولما وصلوا إلى بلاد المغرب استقروا بطرابلس[1] التي كانت آنذاك في اضطراب كبير وسخط على الحكام العباسيين وقبلهم الأمويين فعقدوا الإمامة لأبي الخطاب فصار في المغرب سيرة خلفاء الراشدين امتدت إمامته شرقا إلى برقة وغربا إلى القيروان وجنوبا إلى فزان ولكن الأقدار لم تتح له فرصة التمكين لدين الله وسياسة الناس بالعدل حيث أرسل إليه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور جيشا ضخما، فدارت معركة ضارية بين الجيشين انتهت باستشهاد أبي الخطاب والقضاء على إمامته سنة 144هـ / 762م[2].

2- **عبد الرحمن بن رستم بن بهران بن كسرى الفارسي** : من أكبر أعلام الاباضية وعظماء التاريخ ويرجع نسبه إلى الأكاسرة ملوك الفرس ولد بالعراق في العقد الأول من القرن الثاني هجري تزوجت أمه الأرملة بحاج مغربي فاصطحابها وابنها اليتيم إلى قيروان وفيها نشأ عبد الرحمن وترعرع وبها تعلم مبادئ العلوم ثم صادف نشر الدعوة الاباضية فتعلق بها، ثم سافر إلى البصرة في بعثة علمية للاستزادة من تعاليم المذهب الاباضي والاعتراف من معين شيوخه وكان ذلك سنة 135هـ/694م وبعد خمس سنوات عاد رفقة البعثة التي حملت على عاتقها عبئ الدعوة الاباضية أجازه شيخه أبو عبيدة في أن يفتي بما سمع منه وما لم يسمع، عاينه الإمام أبو الخطاب واليا على القيروان أيام دولته والتي كانت من سنة 140-144هـ/758-762م، باعد استشهاد أبو الخطاب لجأ عبد

[1] - طرابلس: أسسها الفينيقيون وأطلقوا عليها اسم أوثيا عندما قدموا من صقلية وأصبحت فيما بعد تابعة لقرطاجة ثم مدينة رومانية ثم وندالية وبعد ذلك بيزنطية حتى فتحها عمرو بن العاص وصارت مدينة إسلامية ... خليفة محمد التيسلي : حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والاجانب ،ط3 ،الدار العربية للكتاب، ليبيا ،1997، ص 7-22.

[2] محمد بن موسى بابا عمي واخرون المرجع السابق، ج2 ص 134

الرحمن إلى المغرب الأوسط بعيد عن نفوذ العباسيين واعتصم في منطقة تيهرت [1] وهناك أسس مدينة تيهرت في سنة160 هـ / 777م، بايعه الاباضية المغاربة إماما لأول دولة إسلامية مستقلة بالمغرب الأوسط والتي استمرت إلى القرن الثالث هجري عرفت في التاريخ باسم "الدولة الرستمية"، والتي استمرت حتى أواخر القرن الثالث هجري.

ذكر إن له كتابين أحدهما في تفسير كتاب الله العزيز والأخر جمعت فيه خطبه إلا أنهما لم يصلا إلينا دام في إمامته إلى غابة وفاته سنة 171هـ / 788م[2]

3 ـ **عاصم السدراتي** : من أئمة المغرب الإسلامي واحد حملة العلم الخمسة رجع إلى بلاد المغرب من البصرة سنة 140هـ / 758م حمل عاصم لواء الدعوة والتعليم وظل ينتقل بين القرى والبداوي من جبال نفوسة إلى جبال الأوراس، درس على يديه أئمة وعلماء أجلاء منهم الإمام عبد الوهابي بن عبد الراحمن ثاني أئمة الرسمتين كان مستجاب الدعاء ،زاهدا وارعا كما اشتهر بالشجاعة والفروسة مات مسموم سنة 141هـ/759م[3].

4- أبو المنيب اسماعيل بن درار الغدامسي: واحد من علماء الاباضية سافر إلى البصرة في البعثة التي أرسلها سلمة بن سعد والتحق بحلقة الامام أبي عبيدة المستخفية في سرداب بعيد عن أعين العباسيين فقضى معه خمس سنوات في طلب العلم الشرعي وخاصة فقه المعاملات والأحكام وبعد رجوع البعثة سنة 140هـ/758م وقيام إمامة أبي الخطاب عين قاضيا للإمامة فأدى واجبه وقام به أحسن قيام الى جانب انشغاله في أداء رسالته في تعليم الاجيال، وبعد مقتل زميله عاصم السدراتي اعتزل القضاء واشتغل بالتدريس .[4]

[1] - تيهرت عبارة عن مدينتين كبيرتين إحداهما قديمة والأخرى محدثة فالقديمة ذات سور وهي على جبل قليل العلم و تيهرت بعيدة عن القيروان تفصل بينها منطقة الزاب وهي عاصمة الدولة الرستمية أسسها عبد الرحمن بن رستم في سنة 160هـ... فتيحة قرواز: الحياة الحضارية في الجزائر الرستمية (160-296هـ / 777-909م)، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر) 2001، ص 27 .

[2] - المرجع نفسه ، ص 28.

[3] - محمد بن موسى بابا واخرون : المرجع السابق ، ج2 ، ص 246 .

[4] - المرجع نفسه ، ج2 ، ص 239.

5- **أبو داود القبلي النفزاوي**: أحد أعلام الكبار أصله من افريقية أخذ علومه الأولى عن سلمة بن سعد ثم انطلق مع عبد الرحمن بن رستم وزملائه في بعثة إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وبعد عودته من البصرة رفقة حملة العلم اعتزل السياسة واهتم بالتدريس وتكوين الأجيال كان غزير العلم حتى روي أن الإمام عبد الوهاب مع سعة علمه إذا جلس بين يديه ظهر كالصبي أمام المعلم[1].

لا يذكر الدرجيني كيف انتقل حملة العلم إلى البصرة وما إن كانوا على تواصل قبل وصولهم إلى هناك خاصة أنهم من مناطق مختلفة كما أسلفنا الذكر ، ولم يذكر الدرجيني أيضا تاريخ انتقالهم إلى البصرة.

ومع وصولهم إلى البصرة شرعوا في التعلم على يد أبي عبيدة حيث يقول الدرجيني: فقصدوا أبا عبيدة فصافحهم وسألهم عن أحوالهم ومن أين أقبلوا فأخبروه أنهم أرادوا تعلم العلم فأجابهم إلى ذلك ومكثوا عدة سنين وكان أبا عبيدة رحمه الله مستخفيا متخوفا من بعض أمراء البصرة فأدخلهم سربا وجعل فيه سلسلة وطفقا يعمل القفافة بباب السرب فمتى رأى شخصا مقبلا حرك السلسلة فسكتوا فإذا انصرف حركها فيأخذون في دراستهم...وهكذا فان الدرجيني لا يحدد المدة التي قضوها في البصرة لكنه يورد كيف كان حملة العلم يدرسون في سرية تامة من دون أن ينتبه لهم لأحد وهذا ما يؤكد على حرص أبي عبيدة ومجهوده الكبير في الحفاظ على سرية الدعوة وسعيه لنشرها في كل الأقطار خاصة البعيدة منها عن أعين الخلافة[2].

وبعد أن تلقوا العلم على يد أبي عبيدة عزموا على العودة إلى بلاد المغرب لإقامة دولة مستقلة بها وهذا ما ذكره الدرجيني في قوله : ... فلما عزموا على المسير الى بلاده كلموا أبو عبيدة وشاوره فيما

[1] - محمد بن موسى بابا وآخرون : المرجع السابق ، ج2 ، ص139.
[2] - ابي العباس احمد بن سعيد الدرجيني : المصدر السابق ، ج1 ، ص 20.

يستقبلون من أمورهم فقالوا له يا شيخنا إن لو كانت لنا قوة بالمغرب ووجدنا في أنفسنا طاقة أفنولي علينا رجلا منا؟ فقال لهم أبو عبيدة توجهوا إلى بلادكم فان يكن من أهل دعوتكم من العدد والعدة ما تجب معه التولية عليكم فولوا على أنفسكم رجلا منكم فان أبى فاقتلوه وأشار إلى أبي الخطاب رحمه الله ... وفي هذا النص يبدوا واضحا نية حملة العلم نشر مذهبهم في بلاد المغرب ونقله من مرحلة الدعوة السرية إلى مرحلة الظهور العلني وهذا بمساندة ومباركة أبي عبيدة والذي يتضح أيضا من خلال ما قاله الدرجيني أنه هو من أمرهم بمبايعة أبي الخطاب والذي سيصبح فيما بعد إماما عليهم[1].

ومع عودتهم مباشرة من البصرة إلى بلاد المغرب استقروا بطرابلس ... فكانوا يجتمعون في موضعا يقال له صياد بخارج مدينة طرابلس ويظهرون أنهم يجتمعون في قضية أرض مشتركة بين قوم أرادوا قسمتها ...هذا يدل أن حملة العلم حافظوا على سرية علمهم وواصلوا نشر دعوتهم حتى أصبحوا جاهزين لإعلان الإمامة وفي هذه المرحلة قاموا بمبايعة أبي الخطاب دون علم منه حيث اتفقوا أن يجتمعوا بصياد كالعادة على أن يحظر كل واحد منهم أتباعه وسلاحه وذكر بعض اصحابنا أنهم لما اتفقوا على ذلك جعلوا بينهم موعدا معلوما ليجتمعوا فيه بصياد فاتفقوا على أن يأتي كل واحد منهم بجماعة رجال من عشيرته وأتباعه وأن يأتوا بالأسلحة وأن يجعلوا الدروع في الجواليق ويخفونها بالتبن..... من خلال هذا النص يمكننا أن نلاحظ أن نشاط حملة العلم قد بلغ مرحلة متقدمة حيث صار لكل منهم رجال يتبعونه ولهم من العدة والسلاح ما يمكنهم من السيطرة على طرابلس آنذاك إضافة إلى حرصهم على سرية نشاطهم حتى أخر لحظة من خلال إخفاء أسلحتهم بالتبن وهذا لأجل المحافظة على عنصر المفاجأة مما يسهل عليهم عملية تحقيق النصر ومما يؤكد على حرصهم التام على السرية في نشاطهم هو جهل أبي الخطاب أنه تم مبايعته فقد خرج معهم دون علم منه: قال فخرج معهم أبو الخطاب ولم يدري ما يردونه[2].

[1] - ابي العباس احمد بن سعيد الدرجيني : المصدر السابق ، ج1 ، ص 21-23.
[2] - الصدر نفسه ، ج1، ص 23.

الفصل الثالث : الحياة العلمية في عهد الدولة الرستمية

الفصل الثالث : الحياة العلمية في عهد الدولة الرستمية

لقد كان العلم أساسا لحضارة لم يشهد المغرب الأوسط لها مثيل فقد تمكنت الدولة الرستمية من فرض سلطانها على القبائل في المنطقة، دون أن يكون لها سند العصبية القبلية وإنما تمكنت من ذلك بفضل المكانة الأدبية والعلمية التي كان يتمتع بها أئمة البيت الرستمي من عناية بالعلوم وحرص على إقامة العدل واحترام رأي الأغلبية .

وبعد نجاح عبد الرحمن بن رستم سنة 160هـ / 777م من إعلان الإمامة أصبحت الدولة الرستمية هي الحاضن الرئيسي للمذهب الاباضي واتخذ مدينة تيهرت عاصمة له والتي أصبحت منارة العلم في بلاد المغرب وأنجبت عديد العلماء الذين كان لهم أثر كبير على العديد من العلوم[1] .

المبحث الأول: دور الأئمة الرستمين

بعد عودة الأئمة الأربعة إلى بلاد المغرب بعد تلقيهم للعلم في البصرة على يد الداعية الاباضي الأكبر أبي عبيدة مسلم بن أبي عكرمة، بدأوا في نشر المذهب الاباضي وذلك في حلقاتهم التي انتشرت في جهات المغرب الأدنى وافريقية، كما لقنوا اتباعهم علم الأصول والفروع والسير والتوحيد والشريعة وأراء الفرق وعلوم اللغة والفلك والرياضيات، ذلك أن البيت الرستمي كان بيت علم في مختلف الفنون كما يظهر دور الأئمة الاباضيين في توجيه وتشجيع جميع الأنشطة في دولتهم وهذا أمر بديهي إذ علمنا أن الائمة كانوا من العلماء البارزين الذين لهم نصيب وافر من العلم .

إن اهتمام البيت الرستمي بالعلم خصوصا العلوم الدينية ونشرها بين الناس كان داعيا لأن تحظى الحياة الفكرية باهتمام كبير، فقد أولى الأئمة اهتمامهم بالفقه الاباضي وأراءه الكلامية وهذا ما ترجم في رئاسة الدولة الرستمية إذ يشرط في إمامة ورئاسة الدولة العلم [2]. فهو أهلا للإمامة لدينه وعلمه وسابقته ومكانته

وغير ذلك من حسن[3] .

[1] - بحاز إبراهيم بكير الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م) دراسات عن الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة لاقوميك، الجزائر، 1985، ص 264.

[2] - محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، دار إحياء الكتب العربية ، 1963 ، ج3، ص 372.

[3] - ابي العباس احمد بن سعيد الدرجيني :المصدر السابق ، ج1 ، ص56.

إن إدراك الأئمة الرستميين بأن الحفاظ على الشريعة الإسلامية وترسيخ المبادئ الاباضية في أذهان الناس أقوى من السيطرة عليهم بالقوة، ولكونهم من العلماء جعلهم يساهمون في نشر العلم والمعرفة بين مختلف طبقات المجتمع الرستمي وبذلك عرفوا أن فائدة العلم هي العمل به فقد عقدوا المجالس والحلقات العلمية بالمساجد وغيرها ولقنوا الناس فنون العلم الشرعي والعلوم الأخرى، وهذا ما يثبته الشماخي في روايته على أحد الأئمة الرستميين إذ يقول: معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم منزلة يبيت فيها القمر"[1].

لقد أضحت تيهرت من المراكز الثقافية الكبرى في بلاد المغرب بسبب السياسة التي انتهجها حكامها ونظرا لسياسة التسامح التي انتهجتها الدولة مع إتباع المذاهب الأخرى، كما شكلت مشاركة العلماء الفعالة في الحركة العلمية في المجتمع الرستمي أداة لتشجيع الناس على طلب العلم وهذا ما كان أساسا لحضارة لم يشهد لها المغرب الأوسط مثيل، فقد تمكنت الدولة الرستمية من فرض سلطانها على القبائل المضطربة في هذه المنطقة دون أن يكون لها سند العصبية القبلية وإنما تمكنت من ذلك بفضل المكانة الادبية والعلمية التي كان يتمتع بها أئمة البيت الرستمي من عناية بالعلوم وحرص على إقامة العدل واحترام رأي الأغلبية [2].

[1]- أحمد بن سعد بن عبد الواحد الشماخي المصدر السابق، ج1 ص 167.

[2]- أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، المصدر السابق، ص 124.

ولنا أن نورد بعض الأمثلة لاهتمام الأئمة الرستميين بالعلم ودورهم في الرقي بالدولة:

الإمام عبد الرحمن بن رستم (160-171هـ / 777-787م): يعتبر من كبار العلماء كانت له حلقة في مسجد تيهرت وهو المؤسس الأول للدولة الرستمية ألف كتاب في تفسير القرآن .

حيث يقول الدرجيني: أن عبد الرحمن بن رستم ممن لا تجهلون فضله، وهو أحد حملة العلم وعامل الإمام أبي الخطاب رحمه الله وقد كان المسلمون عرضوا عليه الإمامة قبل تولية أبي الخطاب فأعرض عنها ودفعها عن نفسه فهو أهلا للإمامة لدينه وعلمه وسابقته ومكانه وغير ذلك من جميل أوصافه، لا سيما وليست له قبيلة تمنعه إن بدل أو غير، فإن رأيتم توليته أموركم فافعلوا فاتفق رأيهم جميعا على توليته... فبايعوه على الإمامة بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

الإمام عبد الوهاب (171-208هـ / 787-823م): خليفة عبد الرحمن بن رستم في الإمامة وابنه، عرف بحبه للعلم إذ نشأ في بيت علم على يد والداه وبعض من العلماء أمثال داوود القبلي وغيره، فكان له دور كبير في تنشيط حركة العلم ب تيهرت ويتفق معظم المؤرخون على أن عبد الوهاب عرف بحبه للعلم واطلاعه الواسع بالمسائل الشرعية إذ صنف كتابا سماه نوازل نفوسة كما أنه أصبح مرجعا للعلماء إذ يقول عنه الشماخي : أن عادة عبد الوهاب إذا فرغ من صلاة العشاء أخذ كتابا ينظر فيه وكان ذلك حتى في بعض أوقات النهار فلما ختمها قال الحمد الله إذا وجدت جميع ما فيها محفوظ ولم أستفد منها إلا مسألتين ولو سألت عنها لأجبت فيها قياسا "[2].

الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208-258هـ/823-8711م) ثالث الأئمة الرستميين، كان من أكبر الأئمة في زمانه كما كان فقيها وشاعرا تخرج من مدرسته جمع من العلماء منهم ابنه أبو اليقظان، زاوج بين إمامة العلم وإمامة الدولة فقد وصفه أبو زكرياء بقوله : كان ميمون نقية فسكن الله له البلاد ووقي به العباد حافظ أفلح على الحكم بالكتاب والسنة والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك من الشعائر الإسلامية [3].

الإمام أبي بكر (261258هـ/871-874): تحدث عنه ابن الصغير في مؤلفه أخبار الأئمة الرستميين" على أنه نبغ في الآداب والإشعار وعلم التاريخ كما عرفت هذه العلوم

[1] - ابي العباس احمد بن سعيد الدرجيني : المصدر السابق ، ص 22.
[2] - احمد بن سعد بن عبد الواحد الشماخي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 133.
[3] - أبو زكريا يحي بن أبي بكر : المصدر السابق ، ص 128.

ذروتها ونشاطها في عهده كما كان اهتمامه بالآداب دون العلوم الأخرى ، وصور عهده فتنة ابن عرفة[1].

الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح (261-281هـ/874-894م) : كان الإمام أبو يقظان شغوفا بإلقاء الدروس إذ تتلمذ على يده العديد من الطلبة من بينهم ابن الصغير الذي يذكر عن نفسه ذلك حيث يقول:

وقد لحقت أنا بعض أيامه و حضرت مجلسه ، شهدت فترة إمامته ضعف الدولة الرستمية وقلة علماء هاو هذا ما دلت عليه الاستغاثة التي وجهها الإمام لرعيته يدعوهم فيها إلى أن يبذلوا جهودهم في طلب العلم [2] .

[1] - ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستميين ، تح : محمد ناصر وابراهيم بحاز ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1986، ص 32- 63.
[2] - المصدر نفسه ، ص 11.

المبحث الثاني: المؤسسات التعليمية

عبر اهتمام الأئمة الرستميين بالعلم وطلبهم له وتشجيعهم للحركة العلمية في المغرب الأوسط على أزهى فترات هذه الدولة إذ عرفت وجود العديد من المؤسسات التعليمية التي اعتنت بهذه الجانب ودعمت الحراك العلمي ولنا أن نبين في هذا الجانب أهم المؤسسات التعليمية في تيهرت الرستمية .

المساجد إذ حرص الرستميين للحفاظ على العقيدة الإسلامية كان داعيا لاهتمامهم ببناء مكان تقام فيه العبادات، فكان ثاني مبنى أقامه المؤسس عبد الرحمن بن رستم في تيهرت هو المسجد، حيث يقول الدرجيني : فلما أرادوا بنائه وقع اختيارهم على أربعة مواضع فاقترعوا عليها أيها يجعل موضع المسجد الأعظم فوقعت القرعة على المكان الأول الذي أصلحوا لصلاتهم فبنوا الجامع به...[1] إذا كان المؤسسة الأولى لتعليم مبادئ الدين الحنيف فلم يقتصر دوره على العبادة فقط إذ اعتبر مؤسسة علمية أيضا، تقام فيها شعائر الصلاة والاستماع إلى كبار مشايخ الاباضية والقيام بأمر الوعظ والإرشاد. عمرت الدولة الرستمية بالمساجد فلا يوجد قرية أو مدينة ليس بها مسجد إذ يقام في جميعها الصلاة زيادة على الدروس العامة التي تتم بين أوقات الصلاة كما اعتبر المسجد البيئة التي تثبت وتصقل معلومات كل فرد إذ يثقف عقله ويصفي نفسه ويساير الزمن [2].

يقول الدرجيني: وحدث أبو محمد ميمون بن حمودي رحمه الله قال وجدت ألواح التلاميذ الذين خرجوا إلى باغاي بمسجد المنية...[3]

[1] - ابي العباس احمد بن سعيد الدرجيني : المصدر السابق ،ج1، ص 41.

[2] - باغاي مدينة كبيرة في أقصى افريقية بين مجانة وقسنطينة واليها ينسب أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربعي الباغاي المقري .... ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 325.

[3]- ابي العباس احمد بن سعيد الدرجيني : المصدر السابق ، ج 1، ص 128.

وكمثل على المساجد نجد الجامع ب تيهرت الذي بناه عبد الرحمن بن رستم عندما شرع في بناء مدينة تيهرت معهدا للدراسات الاباضية من فقه وتفسير وكلام وحديث فهو أهم مركز لتعليم وتلقين الفقه الاباضي إذ يعقد فيه الأئمة حلقاتهم الدراسية وينشرون مواعظهم وكانت تعقد فيه الاجتماعات العمومية لأخذ رأي الإمام في الشؤون التي تهمهم[1].

لم يقتصر التعليم في المسجد على فئة الرجال فقط بل شمل النساء أيضا، يقول الدرجيني : ونذكر بعضما بلغنا من اجتهاد هذه المرأة وذلك أنها أصغت يوم إلى مذكرة الطلبة فورد ذكر القراءة في الصلاة فسمعت بينهم القول بأن من قام إلى الصلاة فقرأ في نفسه ولم تتحرك بالقراءة شفتاه ولا نطق بها أن عليه الإعادة فلما تحققت ذلك وجاء الليل أقبلت فأعادت احتياطا صلاة سنة في ليلة واحدة [2].

كما خصص في المساجد قسم خاص بالنساء يفصلهم عن الرجال بواسطة جدار يستر النساء ولا يحجب عنهم صوت المدرس وتلاوة الإمام كما عرفت من بين النساء الاباضيات العالمة والشاعرة والمستفسرة عن شؤون دينها وقد تم التعليم في المسجد في العهد الرسمي على مرحلتين :

المرحلة الأولى: مرحلة الكتاب

- المرحلة الثانية :(مرحلة الحلقات المجالس العلمية).

الكتاتيب الحياة العلمية في الدولة الرستمية

المعلومات حول الكتاتيب منعدمة تماما في كتاب الدرجيني لكن بحاز يذكرها.يعني الكتاب المكان الذي يحفظ فيه الصبيان القرآن الكريم ويتعلمون فيه الكتابة، وعرف أيضا باسم "دور القرآن آذ كان أطفال الاباضية يتلقون فيه تعليمهم وهي مخصصة للأطفال بين السادسة والحادية عشر أو ثانية عشر من العمر[3].

[1] - ابن الصغير : المرجع السابق ، ص 28-29.
[2] - ابي العباس احمد بن سعيد الدرجيني : المصدر السابق ، ج1، ص 120.
[3] - بحاز إبراهيم بكير : المرجع السابق ، ص 277.

إذ يتلقى فيها الصبيان دروسا كالقراءة والكتابة والحساب وبعض الشعر إلى جانب تحفيظ القرآن ويتعلمو نفيها الوضوء والصلاة والصيام والواجبات الدينية ويشرف على كل هذا معلمون من أتباع المذهب الاباضي كما عرف الكتاب بأنه مقر بسيط مفروش بالحصير يتربع فوقه التلاميذ ويعلوهم المعلم في المصطبة، يحمل في يده قضيبا إذ يستخدمها المعلم في تخويف أو ضرب كل من تهاون في حفظ لوحه من القرآن ويتم حفظ القرآن بواسطته وهو مصنوع من الخشب بالماء ويكون أغلب الحال في الفترة الصباحية[1] .

لم يقتصر دور الكتاتيب في تحفيظ القرآن فحسب بل تعداه إلى تدريس الفقه والحديث والنحو وغيرها وذلك من أجل تهيئة التلميذ للتبحر في مختلف العلوم فيما يعرف بحلقات العلم أو المجالس العلمية ، أن معرفة التلميذ في المرحلة الأولى لا تتعدى حفظ القرآن وبعض الأحاديث عن طريق التلقين والتكرار دون الكتابة الجلوس في حلقات الدرس التي تعقد بالمساجد أو في دور العلماء أو المكتبات وفي هذه المرحلة يتلقى الطالب مختلف العلوم فيتوغل في الفقه ويتقن العربية ونحوها، ويفهم كل ما حفظه في المرحلة السابقة حفظا دون استيعاب وتعتبر هذه المرحلة اعلى مقارنة بسابقتها الابتدائية ويمكننا أن نستشفي من نص أبي زكرياء حول عبد الله الشكاس هذا الأمر إذ يقول : فقرأ أو حفظ فلما اشتد وبلغ الحلم سولت له نفسه طلب العلوم[2] وهذا ما يذكره إبراهيم بحاز من أن هناك مراحل في التعليم لدى الاباضية فالمرحلة الأولى وهي الابتدائية وتنتهي ببلوغ التلميذ الحلم والمرحلة الثانية وهي الثانوية وهي التي تتم في حلقات العلماء بالمساجد[3].

[1] - بحاز إبراهيم بكير : المرجع السابق ، ص 277.
[2] - أبو زكرياء يحي بن أبي بكر : المرجع السابق ، ص 281.
[3] - بحاز إبراهيم بكير : المرجع السابق ، ص 281.

الحلقات المجالس العلمية

يعود الفضل في انعقاد الحلقات إلى حملة العلم الخمسة الذين نقلوا معهم تنظيمات مدرسة البصرة إلى المغرب، حيث يقول الدرجيني : وكانت مبايعة أهل ورجلان تجتمع عند مسجد الشيخ بنون فمنهم المستفيد منه علما ومنهم المتبرك بمشاهدته والمشارك فيما يعرض من أمور دينه ودنياه...[1]

وتعد المجالس العلمية أهم دور للتعليم إذ تفتح مجالا أمام التلميذ للاستزادة والتخصص في إحدى فنون العلم، فيقول الدرجيني: وبلغنا أن أبا نوحا كان ذات مرة بقنطاز هو وتلامذته في الاشتغال بالدراسة والتفنن في العلوم وإيضاح سبيل الصلاح والرشاد وتغيير المناكر والفساد...[2]

كما إن الجلسات تعقد عادة بين الصلوات أو بعد صلاة الصبح وقد ضمت الحلقات مختلف الفرق والمذاهب حتى عرفت الحياة العلمية بالدولة الرستمية بالمناظرات الفقهية، حيث يقول الدرجيني: "وكان أبو نوح كما ذكرناه عالما في المناظرات والرد على أصحاب المقالات فكانت له في المناظرات بين يدي المنصور أخبار مشهورة وأيام في جميل الذكر مذكورة...[3]

[1] - ابي العباس احمد بن سعيد الدرجيني : المصدر السابق ، ج2 ، ص 287.
[2] - المصدر نفسه ، ص 288.
[3] - ابي العباس احمد بن سعيد الدرجيني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 56 .

ومن شدة حرص العلماء على العطاء فقد كان تلقين الدروس حتى في المنازل بالرغم من أن الكتاتيب منتشرة في الدولة الرستمية إلا أنها لم تكن لوحدها تقوم بالدور العلمي مع وجود الجوامع والمساجد بل حتى المنازل مما جعلها مركزا هاما لتلقي العلوم العقلية والنقلية ونشر الحضارة العربية الإسلامية في بلاد المغرب[1].

المكتبات

اعتبرت المكتبة الحافظ للكتاب وقد وجدت في الدولة مكتبة ضخمة حيث اهتم الأئمة الرستميين بشراء الكتب واستيرادها من مختلف الجهات إذ شكلت الكتب التي جلبها الأئمة الرستمين من المشرق المكون الأول للمكتبة الرستمية كما بلغ اعتنائهم بالعلم أنه استوردوا كتبا قيمة من الشرق إذ أصبحت هذه المكتبة العظيمة لا تضاهيها إلا مكتبة بغداد[2] وفي هذا الصدد يورد أبو زكرياء بأن أهل المشرق بعثوا لعبد الوهاب أربعين حملا من الكتب [3]، أما الدرجيني فيذكر انه ديوان عظيم حيث يقول عنه: "وكان بيت الرستميين بيت العلوم وجامعا لفنونها من علم التفسير والحديث والفرائض والأصول والفروع وعلم اللسان وعلم النجوم وقد حكى عن بعضهم أنه قال معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعرف منزلة القمر وبلغنا أنعبد الوهاب بعث ألف دينار إلى إخوانه بالبصرة ليشتروا له بها كتبا فاقتضى نظرهم أن يشتروها ورقا وتطوعوا بالمداد وأجرة النساخ والمفسرين حتى أكملوا ديونا عظيما فبعثوا به إليه فشق جميع الديوان فقال الحمد الله إذ ليس فيه مسألة غربت عني إلا مسألتان ولو سألت عنهما لأجبت قياسا على نظائرهما ووافقت الصواب....[4]

[1] - سعد بن عبد الواحد الشماخي، المصدر السابق، ص 190.

[2] - بغداد أم الدنيا وسيدة البلاد قال بن الانباري : أصل بغداد للأعاجم والعرب وتختلف في لفظها اذ لم يكن أصلها من كلامهم و اشتقاها من لغتهم .... ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1 ص 56.

[3] - أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، المصدر السابق، ص 100.

[4] - ابي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني: المصدر السابق، ج1 ، ص56-57.

أما الشماخي يورد بأن الإمام عبد الوهاب أنته خزانة كتب [1]وقد احتوت المكتبة الرستمية كتبا في جميع المجالات من علوم شرعية (تفسير، حديث، فقه، توحيد) وكتب في الطب وأخرى في الرياضيات والهندسة والفلك والتاريخ واللغة وغيرها من العلوم كما اعتبرت المكتبة الوحيدة على مستوى المغرب الأوسط والأدنى والشماخي يورد بأن الإمام عبد الوهاب أنته خزانة كتب وقد احتوت المكتبة الرستمية كتبا في جميع المجالات من علوم شرعية تفسير، حديث، فقه، توحيد) وكتب في الطب وأخرى في الرياضيات والهندسة والفلك والتاريخ واللغة وغيرها من العلوم كما اعتبرت المكتبة الوحيدة على مستوى المغرب الأوسط والأدنى إذ جمعت بين مختلف المذاهب الإسلامية إضافة إلى وجود مكتبات خاصة في منازل العلماء.

لقد شكلت هذه الخزانة النواة الأولى لمكتبة الدولة الرستمية والتي تحدثت عنها المصادر الاباضية عن أنها صومعة مملوءة كتبا في مختلف الفنون والمعارف وعرفت هذه المكتبة فيما بعد بـ "مكتبة المعصومة[2] إذ كانت ملجأ لطلاب العلم ومؤسسة إضافية إلى جانب المسجد والكتاب والمجالس العلمية والمنازل وقد ذكر بأن أغلب كتب مكتبة المعصومة كان من نتاج علماء الدولة الرستمية فلولا حادث استيلاء أبي عبد الله الشيعي[3] (ت 289هـ/911م) الذي هجم على مدينة تيهرت ونهبها وأمر بإحراق مكتبة المعصومة ليقضي بذلك على الفكر الاباضي المكتوب بعد أن أخذ منها أمهات الكتب وبذلك فقدت أغلب الأصول المذهبية للاباضية[4].

[1] - أحمد بن سعد بن عبد الواحد الشماخي المصدر السابق، ج1، ص 190.

[2] - بحار ابراهيم بكير، المرجع السابق، ص 288-29 .

[3] - أبي عبد الله الشيعي حسن بن أحمد بن محمد بن زكرياء الشيعي من أهل صنعاء ويعتبر المؤسس افعلي لدولة العبيدية الرافضية الاسماعلية في المغرب.... علي محمد الصلابي:الدولة الفاطمية، الطبعة الأولى، مؤسسة إقراء للنشر، القاهرة، 2006، ص 43.

[4] - موسى لقبال دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري / احدى عشر ميلادي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979، ص345.

المبحث الثالث: الإنتاج الفكري عند الرستميين

العلوم النقلية وتشمل العلوم الدينية والدنيوية أي اللسانية والاجتماعية.

التفسير : لقد كان اهتمام المسلمون به كبيرا خاصة أن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي والأول للتشريع ونظرا لما ورد الترتيب فيه من النصوص الشرعية.

باعتبار القرآن الكريم المصدر الرئيسي للتشريع واستخلاص الأحكام عند كافة المسلمين فان شرح وتوضيح معانيه وألفاظه يعد أمرا أساسيا للفهم، ثم ان اتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول أقوام أعجمية في الإسلام هي عوامل أخرى تطلبت تفسير القرآن الكريم، ففي المغرب الإسلامي الذي شهد تأسيس دول مستقلة منها الدولة الرستمية كان التفسير محل اهتمام الأئمة الرستميين من أجل تيسير وتسهيل ما جاء في القرآن الكريم ، حيث يقول الدرجيني: فبلغا أن النفر تسألوا فيما بينهم فقال لهم مهدي أما أنا فأكفيكم المناظرة وقال محمد بن يأنيس وانا نفسر القرآن، قد أخذته عن الثقات واعتمدوا على أيوب في المبارزة وأخذ النفر في أهبة السفر فخرجوا من جبل نفوسة متوجهين إلى تيهرت.....[1]

عكف علماء تيهرت على شرح ألفظ القرآن وتفسير معانيه ولا يستبعد أن يكونوا قد استخدموا طريقة الشرح اللفظي في التفسير من العربية إلى البربرية شفويا حتى يفهم معظم سكان المغارب الإسلامي وعلى ما يبدو فان حلقات الوعظ والتدريس ومجالسها لا يخلو من شرح ألفاظ القرآن الكريم وتفسير آياته خاصة المتعلقة منها بالممارسات اليومية كالصلاة والصيام والزكاة والحج.....[2]

-الفقه: ان الحديث عن الفقه في الدولة الرستمية يسوقنا إلى الحديث عن واضعي أسس هذا العلم في الدولة الرستمية بشكل خاص وفي المغرب الإسلامي بشكل عام وهم حملة العلم الخمسة الذين تلقوا تعليمهم على يد ابن أبي كريمة حيث يذكر الدرجيني أنه قبل رحيل حملة العلم الخمسة إلى البصرة استفسر احدهم ثلاثمائة مسألة من مسائل الأحكام حيث يقول: قالوا فلما أرادوا الخروج من عنده هيا الشيخ المركوب لتوديعهم ووضع رجله في الركاب فسأله إسماعيل عن ثلاثمائة مسألة من مسائل الأحكام قبل أن يستوي على متن الدابة فقال له أبو عبيدة أتريد أن تكون قاضيا يا ابن درار ؟ قال له أرايت ان ابتليت بذلك فبماذا تأمرني يرحمك الله ؟...[3]

[1] - ابي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، المصدر السابق، ج1 ،ص 58.

[2] - بحاز ابراهيم بكير، المرجع السابق، ص 289.

[3] - العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، المصدر السابق، ج1 ، ص 21.

ومن جاءوا بعدهم ممن استخلفهم عبد الرحمن بن رستم إذ قاموا بجهود كبيرة لترسيخ المذهب الاباضي وإيجاد إطار سياسي يحميه ويضمن استمراريته وهو الدولة الرستمية.

أدت حرية الفكر وإفساح المجال أمام المذاهب الأخرى غير الاباضية الى تنافس الفقهاء على خلاف مذاهبهم إذ أفضى ذلك الى غزارة التأليف فكثرت بذلك المدونات الفقهية ويذكر ابن صغير في هذا الصدد قائلا: "ومن بالبلد من فقهاء الاباضية وغيرهم من الكوفيين والمدنيين أي مالكية لم يطلب بعضهم بعضا ولا يسعى بعضهم ببعض إلا أن الفقهاء تباحثت المسائل فيما بينهم وتناظرت واشتهت كل فرقة أن تعلم ما خالفتها فيما صاحبتها ....[1]

لقد برز العديد من الفقهاء والقضاة والمفتين من الرستميين وغيرهم وازداد علم الفقه حيوية ونشاط فأصبح محل تنافس ومناظرات بين المذاهب المختلفة حيث يقول الدرجيني: بلغنا أنه" هم أن يعلق تأليفا في الفقه لم يسبق في طريقته عزم أن يفرق العلم على ثلاثة أوجه التنزيل والسنة والرأي وما يتعلق بكل واحد منها في المسائل فيرتب كل باب من أبوابه ويبنيه على القواعد الثلاثة وصرف الى ذلك وجه العناية والاكتراث حتى يكون تأليف طرازا لما صنف في علوم شرائع الإسلام فلم يقدر الله بذلك بل قضي له بإعجال الحمام ونرجو به أن يكون له ثواب ما نواه فجزاه على الكمال والإتمام .....[2]

وهذا ما فتح المجال أمام الاباضية في الدولة الرستمية للاجتهاد أكثر في كسب العلم وهذا ما يخولنا الى ذكر الأئمة الرستميين ومجهوداتهم في ميدان الفقه، لقد كان الأئمة الرستميين أنفسهم علماء وفقهاء حيث أن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن ألف كتابا سماه مسائل نفوسة يجيب فيه على أسئلة النفوسيين والتي جاءت في حوالي ثلاثمائة سؤال[3] .

[1] - ابن الصغير : المصدر السابق ، ص117

[2] - أبي العباس احمد الدرجيني : المصدر السابق ، ج1، 89.

[3] - ابن الذيب عيسى الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدرات والبحث، الجزائر، 2007،ص 94.

ومن الفقهاء الرستميين الذين أدركنا أسمائهم: أبو مسعود وأبو دانون كانا فقيهين على مذاهب الكوفيين كما كان لهذين الفقيهين ضلع بارز في أحداث المناقشات التي وقعت بين الإمام أبي حاتم وعمه يعقوب بن افلح ، كما يورد ابن الصغير أسماء جملة من الفقهاء والخطباء بالدولة الرستمية إلا أنه اكتفى بذكر أسمائهم مثل عيسى بن فرناس النفوسي[1] وابن صغير الهواري[2] (ق3هـ/9م) وأبو الربيع سليمان وهو من وجوه الاباضية من هوارة جرت بينه وبين ابن الصغير مناظرة فقهية

وابن أبي إدريس[3] وأحمد التية (3هـ/9م) وعثمان ابن صفار[4] وأحمد بن منصور[5]وعبد العزيز بن الأزرق(3هـ/9م)[6] الذي كان له فقها بارع وله رحلة نحو المشرق [7].

- **الحديث:** لم يولى الرستميين اهتماما كبيرا بعلم الحديث إذ لا تذكر المصادر التي توفرت لدينا عناية الاباضية في المغرب العربي بالحديث وتدوينه أو رجاله ودرجات الثقة فيهم ولا تتوفر مؤلفات

[1]- عيسى بن فرناس النفوسي: من علماء تيهرت الرستمية عاصر أبا اليقضان محمد بن أفلح كان خطيبا فقيها في مجمدها الاجمع وله شأن في الفقه كان يقابل الإمام أبا اليقظان في مجلسه .... محمد بن موسى بابا عمي:المرجع السابق، ص 332.

[2] - ابن الصغير الهواري من فقهاء تيهرت الرستمية أخذ علمه من علمائها كان من خاصة الإمام أبا اليقظان محمد بن أفلح يجلسه أمامه في المجالس العلمية لمكانته عنده وكان له شأن في الفقه وهو ليس ابن الصغير المؤرخ الرستمي المعروف ..... محمد بن موسى بابا عمي : المرجع السابق ص 263 .

[3] - ابن أبي إدريس من علماء تيهرت الرستمية وناصر أبا حاتم يسف بن أبي يقظان تلقى علمه على مشايخ العاصمة ب تيهرت وكان من خطباتها .... محمد بن موسى بابا عمي: المرجع السابق، ص 53.

[4] - عثمان بن اصفار عاش في عهد الدولة الرستمية وعاشر الإمام أبا حاتم بتيهرت تلقى العلم من مشايخا فقد كانت تيهرت في العلم آنذاك عراق المغرب.... محمد بن موسى بابا عمي : المرجع السابق ، ص 287

[5] - أحمد بن منصور من علماء تيهرت الرستمية تلقى العلم بها على يد علمائها كان فقيها خطيبا في جامع تيهرت أيام الإمام حات يوسف بن أبي يقظان .... محمد بن موسى بابا عمي المرجع السابق ، ص 51.

[6]- عبد العزيز بن الأزرق هو من فقهاء تيهرت الرستمية تلقى به علومه الأولى وله رحلة نحو المشرق..... المرجع نفسه، ص 256.

[7] - ابن الذيب عيسى المرجع السابق، ص 81-102.

الاباضية مغربية في الحديث ولا بد أن هذه الظاهرة ترجع في بعض أسبابها الى تخصص المشرق بالدرجة الأولى بالحديث وعلومه وفي هذه الفترة بالذات لذلك تجد اباضية المشرق قد ألقوا في هذا الجانب وبالنسبة لاباضية المغرب فإننا نجد السلسلة التي ذكرها بحاز عن الشماخي وهي تحت عنوان "هذه نسبة دين الاباضية واحد عن واحد ثقة في زمننا الى نبينا محمد عليه السلام إذ تلقى الضوء عن العلماء الذين اهتموا بالحديث وروايته كما اهتموا بالفقه الاباضي[1]، حيث يقول الدرجيني: "منهم الربيع بن الحبيب رحمه رحمه الله طود المذهب الأشم وعلم العلوم الذي إليه الملجأ في معظمات الخطب الأصم ومن تشد إليه حبال الرواحل وتزم صحب أبا عبيدة فاغترف من بحره الزاخر ولزم مجلسه فكان الأول والأخر روى عنه المسند المشهور المتعارف البركة على مر الدهور وله في الفروع كل قول ومذهب ...[2]

-**العلوم العقلية** : كما هو معلوم فالدولة الرستمية كانت دولة علم أساسا وهذا العلم لم يقتصر على العلوم النقلية فقط بل شمل العوم العقلية :

علم الكلام يعرفه ابن خلدون في مقدمته بأنه هو العلم الذي يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة .

لقد عرف الاباضيون بحبهم للمناظرة وتشجيعهم لها كما أنهم تميزوا بتفتحهم أمام الفرق الأخرى فكان هناك مجال واسع لحرية الرأي والفكر بل ان الاباضيين كانوا يدعون أتباع الفرق الأخرى لحضور المناظرات ولعل من أبرز علماء على الكلام الذين يذكرهم لنا الدرجيني نجد مهدي النفوسي الوغيوي(196هـ / 811م) يقول عنه: "ومنهم مهدي النفوسي رحمة الله قوم الجدال وصدره النضال المقدم في علم البرهان والاستدلال المحتج على امكان الممكن واستحالة المحال وعلى الفرق بين الخلال والحرام...[3] الرادع لقيام أهل البدع والضلال قد مضى من ذكر أنبائه في وفوده على الإمام وما كان من ادحاضه حجج الملحدين في ذلك المقام.....[4]

[1] - إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص 305.
[2] - أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني : المصدر السابق ، ج2 ، ص 311.
[3] - عبد الرحمان ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 467.
[4] - أبي العباس أ حمد بن سعيد الدرجيني : المصدر السابق ، ج2 ، ص 313-314.

ويروي لنا الدرجيني مناظرة بين مهدي النفوسي وخصمه له من الوصالية وكيف تفوق عليه مهدي: فأرسل مهدي الى أصحابه أن علامة ظفر بالمعتزلي، أن أنزع القلنسوة عن رأسي وأضعها تحت ركبتي ثم تناظرا فجرت بينهم وجوه من المناظرة والناس يعلمون ما يقولون فلم يظفر احد بصاحبه ثم دخلا في مناظرات لم يفيقهما أحد غير الامام ثم دخلا في وجوه لم يفقهما أحد ولا الإمام فما كان بأوشك من أنظفر به مهدري وألفى القلنسوة فكبر أصحاب مهدي لعلمهم بظفره بالمعتزلي فلما رأى المعتزلي ذلك قال غدرت يا مهدي وافترقا عن مجلس المناظرة وقد أظفر الله مهدي ونصر حجة أهل الحق والله الحمد ..وهناك العديد من علماء الكلام الذين عرفتهم الدولة الرستمية ولعل أبرز مسألة شغلت هؤلاء العلماء هي قضية خلق القرآن [1].

-**اللغة العربية** : لقد كانت الدولة الرستمية موطنا لأقوام عديدة وبذلك تعددت فيها اللغات إلا ان اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة في حين كانت البربرية هي اللغة العامة.

وكانت البصرة هي الموطن الأم للنحو وهي مركز الدعوة الاباضية لكن لا يذكر الدرجيني معلومات حول هذا العلم واذ ما كان تم نقله بواسطة حملة العلم الى بلاد المغرب.

وقد كان للدولة الرستمية شعائرها ومن بينهم الأئمة كالإمام أفلح الذي كان له قصيدة في أربعة وأربعين بيتا، أما فيما يخص النثر فيتمثل في الرسائل التي كان يبعث بها الأئمة الى المدن الأخرى مثل رسالة الإمام عبد الوهاب الى أهل نفوسة التي يطلب فيها المعونة: أرسل الى أهل نفوسة يستمدهم طلبا منهم جيشا نجيبا يكون فيهم رجل مناظر ورجل عالم بفنون التفاسير.

للتاريخ حيث أنه ألف كتاب أخبار الأئمة الرستمين" مسجلا مختلف يوسف بن محمد بن أبي اليقظان بن أفلح ، ويذكر لنا الدرجيني مؤرخين أخرين منهم زكرياء يحي بن أبي بكر رضي الله عنه وأحرز كل خبر يما يليه من كتاب أبي زكرياء يحي بن أبي بكر رضي الله عنهما واستخلص ذلك وانتقيه فبادرت لإجابة سؤاله إيجابا لعظم حرم السؤال فأخذت في تهذيب الكتاب المذكور ... ،وهنا يوضح لنا الدرجيني أنه اعتمد على كتاب أبي زكرياء وقام بتهذيبه وهذا يدل على أن الاباضيين كانوا يهتمون بالتاريخ منذ عهد الدولة الرستمية[2].

[1] - أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 290.
[2] - المصدر نفسه ،ج 1، ص 3-51.

الفصل الرابع : الحياة العلمية للاباضيين بعد سقوط الدولة الرستمية

الفصل الرابع : الحياة العلمية للاباضيين بعد سقوط الدولة الرستمية

المبحث الأول: انتقال الحياة العلمية الى الحواضر الأخرى

الملاحظ أن زمن الدولة الرستمية كانت تيهرت هي مركز التعليم إذ استقطبت وفودا هائلة من المشائخ والطلبة الى جانب جبل نفوسه ولما سقطت الدولة الرستمية نجد عدة مناطق صارت قبلة للعلماء وهي ورجلان، سجلماسة[1] ، وقسطيلية وجربة، ويظهر أن هذه المناطق التي فر إليها الاباضية أنها لم تكن في متناول الفاطميين خاصة ورجلان وجربة وسنتطرق لكل منطقة على حدى وما تميزت

الحياة العلمية بها :

جزيرة جربة: تقع هذه الجزيرة في الجنوب التونسي حاليا تشرف على البحر الأبيض المتوسط [2].

يذكر الدرجيني عن أبي الخطاب قيامه ببناء مسجد في منطقة تدعى تمزرت بجزيرة جربة حيث يقول الدرجيني: "وأنه لا يبنيها إلا وليا من أولياء الله تعالى فأجمع الرجل على تجهيز الموضع وعقد عزيمته على بنيان مسجد هناك ليكون لتلك الفضيلة أهلا فخرج من القيروان يريد الموضع فلما وصل إليه وجد أبا الخطاب قد سبقه وبنى المسجد بالمكان المذكور فذلك المسجد إلى اليوم معروف به ومنسوب اليه وهو من المشاهد والامكنة المزورة.....[3]

ويظهر من خلال روايات الدرجيني عن أبي زكرياء بن أبي مسورمن علماء الطبقة الثامنة 350- 400ه ، أن حياة العلمية عرفت تطورا أكثر إذ أنه صار للتلامذة منزل يأوون إليه يجمعهم فروى عنه أنه قال : منزل التلاميذ كشجرة الخروب" نوشرح الدرجيني قوله هذا يعني أنه لا ينبت حول الخروب نبات وكذاك ما كان حول منزل التلامذة فأنه يكون اهتمام أهله لما يصلح شأن التلامذة [4].

[1] سجلماسة : مدينة في جنوب الغربي في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب، وهي في منقطع جبل درن، وهي في وسط رمال كرمال زرود.... ياقوت الحموي : المصدر السابق، ج 3 ، ص 192.

[2]- يوسف بن أمحمد الباروني: المرجع السابق، ص 5.

[3]- أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، المصدر السابق، ج 1 ، ص 114.

[4] - المصدر نفسه ، ج2، ص 361-363.

الحياة العليمة للاباضيين بعد سقوط الدولة الرستمية فانه يكون اهتمام أهله لما يصلح شأن التلامذة ..... ويعلق الدرجيني بعدها : .... وكأني به رحمه الله عليه يخاطب أهله وحشمه ليكون لهم من الاهتمام والاهتبال بأمورهم والقيام بحقوقهم...

من خلال هذه الرواية نستطيع أن نتصور ظروف التلامذة التي كانت صعبة إذ أنهم كانوا بحاجة إلى الاهتمام والرعاية وهذا ما جعل ابن أبي مسور يتكفل بالتلامذة إذ جعل الدراهم في القراطيس صرر ويعلقها في ألواح التلاميذ وربما يجعلها في أوعية دفاترهم أو بين التلميذ وثيابه دون أن يشعر بذلك،ذلك رغبة منه في كتمان الصداقة إلى أن مات وانقطعت هذه العادة فعلموا أنه هو من كان يفعل ذلك[1] .

وارجلان بفتح الراء وترقيقها وسكون الجيم والنون عرف هذا البلد قديما باسم فجوهمة وأطلق عليه تسمية متقاربة من حيث النطق واركلان واركلا وارقلا وارجلان إلا أن اسمين الذي اشتهر بهما الان هما وارجلان وهي حاليا مدينة ورقلة[2].

ما تميزت به هذه المنطقة عن باقي المناطق أنها كانت أكثر أمنا فكلما تأزمت الأمور يفر إليها المشائخ بدأ بيعقوب بن أفلح وقد اكتسبت هاته الميزة بفضل مشائخها الذين أمولهم في خدمة المشائخ والعلماء الوافدين.

قسطيلية وافريقية من مدنها الحمة ونفطة، وتوزر هي أهم مدنها وأكبرها عليها سور مبني بالحجر والطوب ولها جامع محكم البناء وأسواق كثيرة[3].

هاتين المنطقتين أيضا تظهر أهميتهما في تلك الفطرة بفضل مشائخها وتلامذتها الذين صاروا فيما بعد مشائخ وعلماء جلسوا للتعليم والإفتاء أولهم أبو الربيع سليمان ابن زرقون النفوسي رفيق أبي يزيد مخلد بن كيداد في الدراسة بسلجماسة عندما ذاهبا للتعلم عند ابن الجمعي حيث يقول الدرجيني: وكان أبو انما قراء العلوم وتفقه ببلد سلجماسة هو وابن كيداد وكان شيخهما الذي قرأ عليه يعرف بابن الجمعي، وكان ابن الجمعي رجل من أهل الدعوة أقبل من بلاد المشرق تاجرا وكان مطلعا على علوم الحيل والنظر ...[4]

[1]- أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، المصدر السابق، ج 2 ص 363

[2]- مؤلف مجهول : المصدر السابق، ص 224.

[3]- أبو عبيد البكري:المسالك والممالك ، تح : أدريان فان ليوفن ، أندري فيري ، الدار العربية للكتاب ، د.ب ، 1992 ، ج 2، ص 708.

[4]- أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 109.

لكنه بقي على مذهب الوهبية ولم يتبع ابن كيداد وعاد إلى قسطيلية لما مات ابن الجمعي فمكث بها وطفق الناس يسألونه عن فنون العلم وهو يجيب واضطربت قسطيلية كلها من أجله وكان بها شيخا مؤدب فكان كلما رأى ذلك من أحوال أبي الربيع زها المؤدب فقال: "... أنا والله علمته وعلي قرأ مني ومني استفاد لأنه أقرأه إذا كان صبيا ... " ، وكان كثير التنقل بين المناطق الاباضية للتعلم لمحاربة النكار حيث يقول الدرجيني: " وبلغ أبا الربيع توجه إلى افريقية فوجد أهلها قد تغيرو ورجع والى مذهب النكارة فلم يزل أبو الربيع يلاطفهم ويبين لهم طريق الهدى حتى رجع والى مذهبهم..."[1]

ومن أبرز تلامذته واللذين كان لهما دورا كبيرا في تاريخ الاباضية بعد سقوط الإمامة هما أبو يزيد مخلد وأبي خزر يغلى بن زلتاف [2]، تتلمذ على يديه فتلقيا فنون العلم ومسائل الفقه واللغة والإعراب وصار يأتيهما من أهل الدعوة من يريد التعلم فاشتهر أمرهما اذ يقول الدرجيني: كان طيلة الدعوة تؤمها من كل جهة يقرأ عليها طالب ما طلب من أي الفنون شاء من علم القرآن والحديث والأصول والفقه وعلم العربية حتى اشتهر ذكرهما وعلا أمرهما ..... وهذا يدل على أن الحلقة كان يقصدها الطلاب من كبار السن وليست حلقة تلامذة صغار السن ضف إلى فنون العلوم التي يتعلمونها. [3]

[1]- أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 110-111.

[2]- أبي خز بن زلتاف من كبار علماء الاباضية برع في علم الكلام وانفرد فيه بأراء متميزة ومن أبناء الحامة في قسطيلية من بلاد الجريد، نشأ فيها وتلقى العلم عن جلة علماء عصره، وكان له نشاط عسكري أيضا الى جانب نشاطه العلمي توفي 380هـ/990م وترك كتاب بعنوان رد على جميع مخالفين .... أبو زكريا بن أبي بكر : المصدر السابق، ص 176-194.

[3] - أبي العباس احمد بن سعيد الدرجيني : المصدر السايق ، ج 1 ، ص 120.

المبحث الثاني: تأسيس نظام العزابة

مؤسس نظام العزابة : يعود الفضل في تأسيس نظام العزابة إلى أبو عبد الله محمد بن بكر وقعوده للحلقة

سيرته: أبو عبد الله محمد بن بكر ولد بجبل نفوسة تعلم على يد كل من أبي نوح سعيد بن زنغيل وأبي زكرياء بن أبي مسور بقسطيلية حيث يقول الدرجيني: " قرأ على كلا الشيخين أبي نوح سعيد بن زنغيل وأبي زكرياء بن أبي مسور وغيرهما رحمهما الله وكان لكل واحد منهما به عناية وله حسن النظر ...، وعندما عاد من القيروان أراد أن يقصد أبو عمران موسى بن أبي زكرياء بتاجديت وفي طريقه إليها التقي بكل من يونس وزكرياء ابن أبي زكريا بن أبي مسور يسجي بن نوجين اليراسني وعدد من الطلبة الذين خرجوا في طلبه بطلب من أبي مسور بأن يلازموه حيث يجدوه ويقرءوا عليه حيث يقول الدرجيني: فحيثما وجدتموه فلازموه واقرأو عليه وحيثما كان فكونوا معه ولو في شغل دنياه...[1]

فامتنع في بادئ الأمر وظلوا يلحون عليه كي يرتب لهم الحلقة إلى أن وافق بشرط أن لا يسألوه أي مسألة إلا بعد مضي أربعة أشهر فتأسس الحلقة في مسجد المنية ولبثوا مدة على الحالة المشترطة لكن لما تعرضت المنطقة للزلازل وامتلاءت الأرض خوفا استشار أبو عبد الله محمد بن بكر فتنقال الى مغراوة[2] لأن بها أناس رقاق القلوب بهدف أن ينتجع فيها الإسلام[3].

[1] - أبي العباس احمد بن سعيد الدرجيني : المصدر السابق ، ج 1 ، ص167- 168.

[2] - مغراوة: نسبة إلى قبيلة بن مغراوة وهي أحدى بطون قبيلة زنانة الأمازيعية من ولد مغراوة بن بصلتين بن مسر بن زكية بن ورسيك بن الديريت بن زناتة .... ابن خلدون: المصدر السابق، ج 7 ص 24.

[3] - أبو زكرياء يحي بن أبي بكر: المصدر السابق، ص 254.

قعوده للحلقة: لما عزم أبو عبد الله محمد بن بكر التنقل الى أريغ لتلك الظروف أرسل رسولا الى أبي قاسم يونس بن أبي وزجون الوليلي[1] أن يهيأ له غارا ليجتمع فيه مع طلبته يدرسوا فيه ويأوو إليه حيث يقول الدرجيني: فأخذ أبو قاسم في عمل الغار وفيه سير ما يصلح شأن الحلقة فلما قدم أبو عبد الله وتلامذته إلا وقد تيسرت أمورهم بلطف الله عز وجل .... [2] فأقام الشيخ أبو عبد الله بن محمد بن بكر وطلبته في بني وليل مدة ثم انتقل عبد الله وتلامذته الى تينيسلي[3] فرتب بها الحلقة وشيد من كريم البنيان ما يتشبه بها العزابة ويتشبهون به الآن.

وسمي الغار بالتسعين نسبة من السنة التاسعة من القرن الرابع هجري 409هـ/1018م التي أسس فيها هذا النظام أي سير الحلقة ، ويمكن القول أن نظام الحلقة الذي ابتكره أبو عبد محمد بن بكر ما هو إلا تتويج لجهود الاباضية من قبله منذ بداية الدعوة السرية للمذهب الاباضي بدأ بأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إلى حملة العلم الى أبي نوح وأبي القاسم وأبي زكرياء بن أبي مسور وعبد الله بن بكر قننها وصاغها في شكل نظام حل محلة الإمامة [4].

أنواع العلوم التي تدرس في الحلقة : ورد عن الدرجيني رواية تدل على أن عبد الله يعلم أصول الدين والفقه وهي تمثل المرحلة الثالثة من مراحل التعليم إذ يقول: وذكر عن أبي يعقوب أن شيخا كان بنفوسة أمسنان أنه كان مقصدا للمبتدئين فإذا انتظموا في حلقته علمهم السير وآداب الصالحين ثم ينقلهم الى محمد فيجرون قراءة القران ويتعلمون اللغة والإعراب ثم ينتقلون الى أبي عبد الله فيعلهم أصول الدين والفقه.

وهكذا فان بإمكاننا أن نقسم العلوم التي كان يتلقاها الطلبة في حلقة العزابة إلى علوم نقلية وأخرى عقلية .... ويقول الدرجيني بأن العزابة شبهوا الشيوخ الثلاثة بثلاث نجارين أحدهم يحسن قطع الخشب من الشعراء والثاني يشقها وينشرها وثالث يركب الألواح ويسمرها فيما يصلح بين الأدوات..."، وعليه فان تدريس داخل حلقة العزابة هو عمل متناسق بين ثلاثة شيوخ يقومون خلاله بصقل الطلبة وتزويدهم بمختلف العلوم التي جاءوا لطلبها[5].

---

[1] - وزجون الوليلي من شيوخ أريغ وصفه الشماخي بأنه كان شيخا كثير الفضائل وصديقا ل أبي عبد الله بت بكر وهو الذي حفر له الغار الذي أنشأ فيه الحلقة سنة 409ه/1018م ...محمد بن موسى بابا عمي وآخرون :مرجع سابق ، ج2 ، ص 496

[2] - أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني : المصدر السابق ، ج1 ،ص 255.

[3] - تينيسلي بلدة التي تضم الغار الذي حفره وزجون وليلي بمنطقة أجلو في بلاد اريغ وهذه البلدة تعرف باسم بليدة أعمر قرب تقرت جنوب الجزائر ... محمد بن موسى بابا عمي وآخرون : المرجع السابق ، ج2 ، 496.

[4] - أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني : المصدر السابق ، ج1 ، ص170

[5] - المصدر نفسه ، ج2 ، ص 397-398.

المبحث الثالث: سير نظام العزابة

يقول الدرجيني: أول ما أطلق لفظ العزابي[1] أيام عبد الله محمد بن أبي بكر لما أسس الحلقة ورتب قوانينها" لذلك صار هذا النظام يدعى بنظام العزابة حيث يعرفه الدرجيني فيقول: "العزابة أحدهم عزابي هذه اللفظة استعملتها لقبا لكل من لزم الطريق وطلب العلم وسير أهل الخير وحافظ عليها وعمل بها فان حسن جميع هذه الصفات سمي عزابيا وان حافظ على السير والعمل بها فقد سمي به وان حصل العلم دون سير والعمل بها والمحافظة عليها لم يسمى بهذا الاسم...[2] فالقوانين التي وضعها أو عبدالله بن بكر تتمثل في الشروط التي يجب أن تتوفر في من يدخل الى الحلقة وأعضائها ومهام كل واحد منها والذين صنفهم الدرجيني الى أمرين (شيخ الحلقة العرفاء) و (المأمورين).

ويطلق على المفرد من أتباع هذا التنظيم عزابي كما سلف الذكر ويقصد بها البعد أو الامتناع والعزوب عن شيء ما، وقد كان من الصعب بمكان أن تدخل عناصر جديدة الى هذا التنظيم حيث كان يتم قبول عناصر جديدة بحذر شديد ويتم التفريق بيت الضيف المؤقت (عابر سبيل) وراغبي في الاستمرار في حياة الرهبنة ويوضع هذا الأخير قيد بحث دقيق جدا عن حياته السابقة كما نجد في حلقة العاجزين جسديا وعقليا .

ويتزعم الحلقة الشيخ يليه نائبه تستمر سلطته مدى الحياة وتأثيره على العزابة كبير وهو مسؤول عن الممتلكات المادية مثلما هو مسؤول عن الاهتمامات الروحية، ويعين بعض العارفين لهم مهام مختلفة[3].

---

[1] - يقول ابن منظور (عزب يعزب عزوبا كفعول مضموم الفاء والعين ويقول رجلا عزب و معزابة لا أهل له.... ورجل عزب لا زوج لها وله.... والجمع أعزب... ابن منظور:المصدر السابق، ج1 ص595

[2] - أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني: المصدر السابق، ج1 ص4

[3] - روبيرتو روبشياني:العزابة حلقة الشيخ محمد بن بكر ، ترجمة لميس الشجني، نشر محمد أومادي منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، سلسلةأبحاث تاريخية ،د.س، ص 24-25.

سيرالحلقة (تنظيم العزابة) :

وقد فصل الدرجيني أكثر في مهام كل من الأمرين والمأمورين حيث يقول: "وأهل الحلقة صنفان أمر و مأمور على ما يأتي تفصيله إن شاء الله فالأمر اثنان شيخ الحلقة أو مستنابه والعريف، فالعريف اثنان منفرد وغير منفرد فالمنفرد اثنان عريف أوقات الختمات [1]والنوم وعريف العرفاء...

1- الامرين

مهام شيخ الحلقة : يقول الدرجيني: فالشيخ يتعلق به أشياء منها الجلوس لطلبة فنون العلم في وقت معلوما ليأخذوا عنه فيه الدرس".

يجلس بأثر الختمات وذلك للجواب عن أسئلة طلبته في أي فن كان ويذاكره فيما حصلوه قبل ذلك ويختص يوم الجمعة بزيادة بشيء من الوعظ

قيامه في الثلث أو الربع الأخير من الليل للاستفتاح أي بالبسلمة وقراءة فاتحة الكتاب يبدأ من حيث انتهى ليلة الماضية حيث يهب كل من نام فمنهم من ينظم الى مجلسه ومنهم من يدرس لوحه في فيقرأون القرآن حتى يأذن مؤذن الصبح .

يجتمع العزابة يوم الجمع وذلك يومي الاثنين والخميس فيعظ ويذكر[2] ويتفقد جميع من حضر فيشكر من حمدت أحواله ويعاقب من عيب عليه شيء فان كان صغيرا فالزاوية هي موضع التأديب حيث يجتهد في عدد ما يجلد والكبير الى الخطة [3]والهجران[4].

---

[1]- الختمات وهي اجتماعهم لذكر الله والدعاء عند طلوع الشمس وعند غروبها بشيخ أو شبغير شيخ وكأنهم يختمون به عمل الليل وعمل النهار ..... أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني:المصدر السابق، ج 1 ص 05

[2]- المصدر نفسه ، ج1، ص 171-174.

[3]- الخطة : هي أن يحول بين المخطأ وأهل الخير فإن تاب واستغفر قبل منه ورجع الى الجماعة وزال عنه شين ذلك الوسمي .... المصدرنفسه، ج 1، ص 05.

[4]- الهجران : الهجران والأبعاد ألفاظ تترادف على معنى واحد وذلك متى أجرم واحد من أهل الطريق جرما أو ظهر عليه خزية أو أتى بنقيصة في قول أو عمل أو تضييع فانه يهاجره كل أهل الصلاح فلا يكلم ولا يحضر جماعة ولا يؤم ولا يواكل ولا يجالس...المصدر نفسه، ج 1ص 05.

إذا قدم قادم من قريب أو بعيد فله أن يقبله أو يرفضه فان كان عابر سبيل فيسمح له بالأكل في أوقاته وان كان طالب علم نظر في أحواله إن كان يسمح له بالانضمام إلى الحلقة أو يرفض.

يولي عرفاء الأوقات ويأذن لهم فيما يشرى أو يباع وفي قسمته وفي ما يفتح الله عليهم من رزق [1].

مهام عريف أوقات الختمات: يتفقد المجلس الذي تكون فيه المذاكرة فان أكمل الحزب أو كاد يدعوا جميع من في المجلس ويؤمنون على دعائهم ويدعوا أسنهم فإذا انقضى الدعاء وتخلف أحد فالخطة.

المناداة للختمة عند غروب الشمس حيث يستدرون ويذكرون الله ويدور الدعاء كالعادة وان تخلف أحد فالخطة.

المناداة بالدعاء عند النوم فان ناموا وتكلم أحد فالخطة [2]، وهكذا فان عرف الختمات يؤدي مهام الناظر الأول في المدرسة أثناء دراسة النهارية ومهام الناظر الليلي ويتبع نظام أشبه ما يكون بالنظام العسكري في تأمين سير العمل التربوي في المدرسة، فكل مخالفة يقوم بها الطلاب أو عدم الالتزام بنظام المدرسة يعرضهم للعقوبة.

وعمل عريف الختمات وأوقات النوم محدد وواضح ومفصل بطريقة تجعل العمل ينظم بطريقة دون لبس أو إشكال وهو أقوى شخصية بعد الشيخ أهم عنصر في التربية[3].

مهام العريف المتكفل بأوقات الطعام يقول الدرجيني: "والعريف المتكفل بأوقات الطعام له حدود يقف عندها وأشياء متسع فيها وذلك أن الطعام لا يخلوا أن يكون في موضع مألفهم أو خارجا فما كان خارجا لا يخلوا أن يكون في محل عزابي أو في محل دنيوي، فان كان في محل دنيوي حفز عليهم كل الحفز في ملازمة التحفظ وإفراط الحذر.[4]

[1] - أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني:المصدر السابق، ج 1 ص173.

[2] - المصدر نفسه ، ج1 ، ص 174.

[3] - عبد الرحمان الحجازي : تطور الفكر التربوي الاباضي، في شمال إفريقي من القرن الأول حتى القرن العاشر هجري، الطبعة الأولى، مكتبة العصرية، بيروت، 2000، ص 159.

[4] - أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني:المصدر السابق ، ج1 ، 175.

فالمتعلق بالعريف في كلا المجلسين أن يرتب جلوسهم فإذا غاب أحدهم في عذر ذكرهم بأن يستوصوا عنهم وان غاب من دون عذرا فالخطة، فإذا اعتدل جلوسهم استدعى بماء وغسلوا بعد اشتمالهم الشملة المتعارفة عند حضور الطعام وهو أن يخرج طرفي ثوبه على صدره بعد أن يدير كل طرفا فوق العائق الذي يليه، فتبرز اليدان ولا ينكشف شيئا من الجسد ثم يأكلون أكلا معتدلا ، فمن أكل بنهم عيب عليه في غير ذلك الموضع ونهى وقبح وحذر أن يعود ، فان عاد فالخطة فإذا طعام تفقدهم العريف فان وجد منهم من في يده الطعام انتظره حتى يقضي حاجته منه، فإذا فرغوا أذن بالإنصات الى الدعاء وان كان في مألفهم فلا يخلوا أن يكون مما يقدر على ترويحيه ومعالجته وحده أو مما يحتاج معينا، فما كان ممن يحتاج فيه معينا استعان مما استحسن فان استعان بأحد فامتنع من غير عذر فالخطة[1].

مهام العرفاء من حملة القرآن : والعرفاء من حملة القران ترتبط بكل واحد منهم جماعة من أصحاب الألواح، طلبة القرآن يملى عليهم ويصحح ألواح ويأخذهم بالحفظ عن ظهر فالجماعة التي ترتبط بكل حافظ يكون أكثرهم عشرة وأقل اثنين وهذا بحسب الاختيار، وفي الأمر الأشهر العام أو مع الضرورات وعدم الرجال فلا حد لكثرتهم ولا لقلتهم فإذا كان وقت الضحى تأهبوا ، كان لكل جماعة نقيب من أنفسهم يحفز على أصحابه ويجمعهم ويستدعي العريف فإذا حظر استئذانه في حفظ ما كتب بالأمس ثم يحفظون على اليمين استأذنوه في الاستملاء وأملى عليهم وان توقف أحدهم دون الحفظ فان كان مبتدأ وقيل له خمس عثرات وان كان فوقه إلا أنه في أول قلم وقيل له ثلاثة وان كان في الإعادة فعثرة واحدة فمن زاد فعلى ما يجتهد فيه العريف والمعروف الأشهر أنه إن كان صغيرا فالزاوية والجلد وان كان كبيرا فالخطة والطرد، فان ارتسم أحد بعريف فليس له أن ينتقل عنه الى غيره إلا بإذنه، وان تخلف أحدهم بغير عذر حتي يحفظ أصحابه ويتبوا سطرا أو بعض سطرا فالتأديب قد تقدم تفصيله وان كان قبل ذلك وبخه العريف ثم صفح عنه، وعليه أن يختبرهم إحسانا فيما قد حفظوه ليعلم منه انشغالهم ورغبتهم واجتهادهم، فان وجد حفظا ركيكا وكان ذلك لعلة في فهم التلميذ وضيق باعه وعلمه أن ذلك الأمر كان سماويا عذره وأمره بالإعادة، وان كان تلميذ ذكيا فهما وعلم إن كان لحب البطالة ترك الدراسة اجتهد في تعزيزه ولذلك يسأله الشيخ حتى تمحيص يوم الاجتماع فلا ينبغي له أن يقول إلا ما علم من حال كل واحد منهم[2].

[1] - أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني:المصدر السابق، ج 1 ص175- 176 .
[2] - المصدر نفسه ، ص 176-178.

مهام عرفاء أوقات الدراسة : أما عرفاء أوقات الدراسة فيتفقدون أصحاب الألواح بين الظهر والعصر و يفوضون الخطة في حالة :

- إن أبطأ احد من غير عذر
- إن اشتغل بما يليه عن قراءة لوحه
- إن قرأ خطأ ولم يهتم بتصحيح لوحه
- إن أبطأ واشتغل بما يليه بين المغرب والعشاء.
- إن قام إلى الطعام اختيار أو نجوى.
- إن نام أو تناول أو اشتغل بما يليه أوقات الاستفتاء.

إن غاب عن حظور استماع كتاب المواعظ بصلاة الجمعة والعصر[1].

2- المأمورون

صنفهم الدرجيني إلى الأصناف التالية حيث يقول : "وأما طلبة الأدب فان اتفق أصحاب لوحات وصغر في السن فينبغي لهم التأسي بطلبة القرآن وترك الاستناد وأما أصحاب الكتب فشأنهم استناد إلى أركان المسجد وأبواب والى الأساطين ...[2]"

[1]- أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني:المصدر السابق، ج 1 ص178

[2]-المصدر نفسه ، ص 179-180.

طلبة القرآن : يقرأون الواحهم بين الظهر والعصر وجوبا وبعد العصر ،استحبابا، ويشتملون عند جلوسهم حيث لا يظهر من أجسادهم شيئا ويسندون ألواحهم إلى الأساطين ويقابلونها غير مستندين ولا يكثروا الالتفات بالإضافة إلى دراستهم القرآن يمكنهم دراسة ما يعينهم من فرائض الإسلام .

طلبة الأدب إن كانوا صغار في السن فعليهم ما على طلبة القرآن أما ان كانوا أصحاب كتب فيستندون إلى أركان المسجد وأبواب، ودأبهم في الاجتماع والمذاكرة والمناظرة في الوقت المعتاد .

العاجزون: يقول الدرجيني منهم الطرش والعميان والهارمون وذو الافهام القاصرة فعليهم الإصغاء والاستماع والمحافظة على الطرق والأوقات[1].

آداب يتحلى بها العزابي تطرق الدرجيني إلى آداب يجب أن يتحلى بها العزابي مثل:

- أن ينصرف الى مواضع لا يكره الانصراف إليها.
- يكره الانصراف في الطرقات والأسواق وان دعت الضرورة فيكون في وقت لا يظن فيه ريبة.
- في الطرق لا يتكبر على متواضع ولا يتواضع على متكبر .
- لا يخالط أهل الدنيا ولا يحاسبهم إلا إن دعت الضرورة.
- هذه الآداب التي سطرها أبو عبد الله محمد بن بكر ووضعها في شكل قوانين سار عليها العزابة من بعده لليوم، مما مكن الاباضية من الحفاظ على مذهبهم إلى يومنا هذا.

هيئة لباس العزابة فرض أبو عبد الله محمد بن بكر في نظامه هيئة ولباس خاص للعزابي يجب أن يتحلى بها كما يقول الدرجيني: " فمنها أنه أول ما يتجرد من طريقة أهل دنيا بحلق شعر رأسه... أن لا يلبس ثوبا مصبوغا الا البياض ولا بأس بعلم الطرفين والطراز ما لم يكن فاحشة ثم إن اقتصر على عباءة أو ملحفة لميشنه ذلك ولم يعبه بل ذلك به أليق وان لبس ذلك على قميص كان أكمل ما لم يكن مبتدأ ولا سبيل على اقتصاره على قميص أو قميص دون اشتمال أو التحاف أو ارتداء وان اعتمد فالتلحي على ماجاء في الأخر ... ولا بأس باستغنائه عن العمامة..."[2].

[1] - أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني:المصدر السابق، ج 1 ص180-182.
[2] - المصدر نفسه ، ص 171.

-اثر حلقة العزابة في الحفاظ على الإرث الاباضي

ومزال نظام العزابة مستمرا إلى يومنا هذا في منطقة المزاب بالجزائر.حافظ نظام حلقة العزابة على تطوره واستمراره طيلة عشرة قرون متواصلة بدون أي انقطاع وهو بهذا أحد أكثر الأنظمة الاجتماعية الدينية ثباتا واستمرار في العالم .

لا يمكن تصور وجود تجمع للاباضيين الجزائريين دون أن توجد حلقة عزابة وهي هيئة دينية عرفية فريدة من نوعها أسسها قبل قرون الشيخ أبو عبد الله الفوسطائي في القرن العاشر الميلادي، أي أنه أسسها تقريبا مع تأسيس أولى قرى وادي مزاب.

يشترط في العزاب أو عالم الدين الاباضي الذي ينتمي لحلقة العزابة الاستقلالية الاقتصادية حيث يجب أن يعمل عمل يده من الفلاحة أو من حرفة معينة تشير أغلب الروايات إلى مقدار الزهد الذي أظهره أعضاء حلقة العزابة طوال التاريخ الطويل للمذهب الاباضي في بلاد المغرب[1].

بل وان عالما كبيرا مثل بروفسور ادوارد كووس من جامعة بيرمنغهام وصف نظام العزابة في قرى وادي مزاب في كتابه نظم اجتماعية دينية بالقول: انه نظام اجتماعيا دينيا فريد من نوعه قادرا على تحويل مجتمع كامل إلى ما يشبه الأسرة الصغيرة، ويعرف نظام حلقة العزابة الديني في قرى واد مزاب ولا يمكن أن يوجد مسجد يتبع المذهب الاباضي دون أن تتوفر فيه حلقة العزابة وهي هيئة عرفية موجودة في منطقة المزاب منذ قرون على شؤون المجتمع كله الدينية والتعليم تكون حلقة العزابة بمثابة الم فكري والسياسي في الأزمات[2].

[1]- بن علي يونسي، أكثر الانظمة الاجتماعية الدينية ثباتا واستمرار في العالم، جريدة الخبر، الجزائر، 22 جويلية 2016،ص2.

[2]- المرجع نفسه ، ص 2.

الخاتمة

خاتمة :

من خلال بحثنا قمنا باستخلاص مجموعة من الاستنتاجات أهمها :

- يعود الفضل في كون الدرجيني ذو ثقافة عالية إلى انتمائه إلى أسرة علمية أبا عن جد.

-اعتمد الدرجيني في كتابه على طريقة الطبقات من خلال جعل كل خمسين سنة تمثل طبقة واحدة وهو ما سهل على الباحث مأمورية تحديد الفترة التي عاش فيها الشخصيات

- كتاب طبقات الشائخ لم يؤلفه الدرجيني بناء على رغبة خاصة به إنما جاء نتيجة لطلب من أعضاء العزابة.

- الكتاب ركز على الجانب السياسي أكثر من العلمي.

- الاباضية كانوا في بادئ الأمر احد فرق الخوارج.

- بدأت الدعوة الاباضية سرية في المشرق وقد تعاقب على تنظيمها عدة شخصيات.
- انتقلت الدعوة الاباضية إلى بلاد المغرب نتيجة الدعاة الذين وصلوا إليها وكذلك بسبب حملة العلم الذين عادوا من المشرق ونشروا الدعوة الاباضية.

- قامت الدولة الرستمية على أساس العلم وليس العصبية القبلية.

- كانت تيهرت هي مركز الحياة العليمة في عهد الدولة الرستمية لتوفر المؤسسات العلمية بكثرة فيها.

- تنوعت المؤسسات التعليمية في عهد الدولة الرستمية حيث شملت المجالس والحلقات المساجد والكتاتيب، والمكتبات.

- تنوع الإنتاج العلمي في عهد الدولة الرستمية إذ كان هناك اهتماما بالعلوم العقلية والعلوم النقلية على حد سواء.

- بعد سقوط تيهرت لم تعد الحياة العلمية للاباضيين ترتكز في مكان واحد بل انتقلت إلى عدة مراكز جديدة.

- أصبحت العزابة هي الراعي والمشرف على مختلف شؤون حياة الاباضيين في مختلف المجالات.

- مزال المذهب الاباضي موجودا إلى يومنا ويرجع أساسا إلى دور حلقة العزابة في الحفاظ على المذهب.

الملاحق

الملاحق

الملحق رقم 01 : خريطة القطر الجغرافي للمغرب الأوسط [1]

[1] - زغلول سعد عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ج2 ، 302.

الملحق رقم 02 : خريطة الدولة الرستمية [1]

[1] -أبو خليل شوقي : أطلس التاريخ العربي الاسلامي ، دار الفكر ، سوريا ، ص 50 .

الملحق رقم 03 [1]

مدح الشيخ سعيد والد الدرجيني ابنه أبي العباس أحمد، ومما قاله فيه أثناء توديعه لإبنه أبي العباس وهو يهم بالرحيل إلى وارجلان:

فإنـك كُنْـتَ تَـلـمـيذاً نَـبيـهاً، وَحـاَذقـاً

وَشـيخك بحر الـعلم أعـظِـمْ بـه بَـحْرا

فـمـا عُـذرُ مَـن أسـتَاذُه فـذٌ عـصـره

"أبو سهل" الـحبر الـذي قـدِ عـلا فـخرا

حَـوى الـعـلـمَ، والـدِّين الـقـويـم ورَاثَـة

فأصـبح في ذا الـعـصـر أطَيَـبهُم ذِكـرا

فـقـيه تـنـاهـى فـي الـعـلـوم فحسـبه

بكـل فـقـيه مَـاهِـر فَـطـن أزْرى

بـه" ورقـلا" تـزهـو كـمـالا وبـهـجـه

بِـه أشـرقـت نُـوراً، بـه ابتسـمت فـخراً.

[1] - ابراهيم اعزام : غصن البان في تاريخ ورجلان ، تح : ابراهيم بحاز وبومعقل سليمان ، ط1 ، مطبعة العالية ، غرداية ، 2013، ص 413.

الملحق رقم 04 :[1]

قصيدة الشيخ سعيد الدرجيني:

مضت سنة واستقبلت بعدها أخرى فيا ليت شعري ما تجيء به البشرى

أبالعلـــم فزتم أم إلى اللهـو ملتـم ونحن نعدّ العام و الفصل و الشهرا

ألا إنّهـــا تحصـــى عليك ليـاليـا مـا الترك والإهمال للحرّ بالأحرى

فحاسب أبا العبّاس نفسك جاهدا وناقش، ولا تنس الصغيرة والكبرى

وواظب طِـلاَبَ العلـم لا تَسْأَمَنَّهُ وإن كـان لا تغني المواعظ والأغرا

إذا لم يكن للمرء في الصـدر وازع يذكـره في كـلّ سـاعة عشـرا

علـى أنّني مـا زلـت بـالله واثقـا بأنّ أخا الإيمان تنفعه الذكـرى

أطلع ما استطعت الله، لا تعصيَنَّه وراقبه لا تسخطهُ وامثل الأمـرا

[1] - أبي العباس الدرجيني : المصدر السابق ، مقدمة الكتاب .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

أولا : قائمة المصادر

1- ابن أثير(عز الدين أبي الحسن بن أبي مكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني) : الكامل في التاريخ ، مرا : محمد يوسف الدقاق ، ط1 ن دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج5 ، 1987.

2- ابن الصغيرالمالكي : أخبار الأئمة الرستميين ، تح : محمد ناصر ، ابراهيم بحاز : د.ط ، د.س .

3- ابن خلدون عبد الرحمان : ديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مرا : سهيل زكار ،ط1 ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ج1 ، 2001.

4- أبو زكرياء يحيا بن أبي بكر : سير الأئمة وأخبارهم ، تح ، اسماعيل العربي ، ط2 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1982.

5- البرادي أبو القاسم : الجواهر المنتقات في اتمام ما اخل به كتاب الطبقات ، تح: أحمد بن سعود السيابي ، ط1 ، دار الحكمة ، لندن ، د.س .

6- البغدادي عبد القاهر : الفرق بين الفرق ، تح : محمد عبد الحميد محي الدين ، دار الطلائع ، القاهرة ، 2005.

7- البكري أبو عبيد : المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، د.ط ، دار الكتاب الاسلامي ، د.س .

8- الحموي شهاب الدين بن أبي عبد الله الرومي االبغدادي : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1982.

9- الدرجيني أبي العباس أحمد ابن سعيد : طبقات المشائخ بالمغرب ، تح : ابراهيم طلال ، ط1، مطبعة البعث ، الجزائر ، ج1، 1974.

10- الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان :سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، د.ط ، 2001.

11- الشماخي أحمد بن سعد بن عبد الواحد : كتاب السيابي ، تح : احمد بن سعود السيابي ، وزارة التراث القومي والثقافة ،عمان ، د.س.

12- الشهرستاني أبي فتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر : الملل والنحل ، تح : أبي فهمي : دار الكتب العلمية ، د.ن ، 1992.

13- الصفدي صلاح الدين خليل بن أبيك : الوافي بالوفيات ، تح : أحمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى ، ط1 ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 2000.

14- مجهول : الاستبصار في عجائب الامصر مكة والمدينة و مصر وبلاد المغرب ، نشر و تعليق ك سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، د.س .

ثانيا : قائمة المراجع

قائمة الكتب :

1- ابن الذيب عيسى : الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث ، الجزائر ،2007.
2- أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1966.
3- أحمد أمين : فجر الإسلام ،ط1 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، 2006.
4- اعزام ابراهيم : غصن البان في تاريخ ورجلان ، تح : ابراهيم بحاز وبومعقل سليمان ، ط1 ، مطبعة العالية ، غرداية ، 2013.
5- بابا عمي محمد بن موسى واخرون : معجم أعلام الاباضية من القرن الاول هجري الى العصر الحاضر ، ط2 ، دار الغرب الاسلامي ، المطبعة العربية ، غرداية ، 2000.
6- باجية صالح : الاباضية بالجريد في العصور الاسلامية الاولى ، ط1 ، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس ن د.س.
7- الباروني يوسف بن امحمد : جزيرة جربة في موكب التاريخ ، تح : سعيد بن يوسف البلروني : ط1 ، المكتبة الباروني ، تونس ، 1997.
8- بحاز ابراهيم بكير : الدولة الرستمية دراسات عن الاوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، مطبعة لافوميك ، الجزائر ، 1985.
9- تام عارف : تاريخ الاسماعيلية من المغرب الى المشرق ، ط1 ، المكتبة البريطانية ، بريطانيا ، 1991.
10- التيسلي خليفة محمد : حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والاجانب ، ط3 ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، 1997.
11- جلي أحمد محمد أحمد : دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة ، ط1 ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية ، 1986.
12- الحجازي عبد الرحمان : تطور الفكر التربوي الاباضي ، ط1 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2000.
13- الحسين قصي : من معالم الحضارة العربية الاسلامية ، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 19936.
14- خليفات عوض محمد : نشأة الحركة الاباضية ، د.ط ، عمان ، 1978.
15- دبوز محمد علي : تاريخ المغرب الكبير ، دار احياء الكتب العربية ، 1963.
16- الرزكلي خير الدين : الاعلام ، ط5 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1980.
17- الرواضة صالح محمد : زياد ابن ابيه ودوره في الحياة العامة في صدر الاسلام ، ط1 ، منشورات جامعة مؤتة ، الاردن ، 1994.
18- روبشياني روبيرتو : العزابة حلقة الشيح محمد بن بكر ، تر : لميس الشجني ، نشر محمد اومادي منشورات مؤسسة توالت الثقافية ، د.س .
19- زيادة محمود : الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه ، ط1 ، دار السلام الغورية ، 1995.
20- السعدي أمين محمد بن أحمد بن عبد الله : الصوفية في حضرة موت نشأتها – أصولها – اثارها ، ط1 ، مكتبة فهد الوطنية ، الرياض ، السعودية ، 2008.
21- شوقي أبو خليل : أطلس التاريخ العربي الاسلامي ، دار الفكر ، سوريا ، د.س.
22- علي محمد الصلابي : الدولة الفاطمية ، ط1 ، مؤسسة اقرأ للنشر ، القاهرة ،2006.
23- عويس عبد الحليم : الدولة الأموية بين السقوط والانتحار ، د.ن ، القاهرة ، مصر ، د.س .
24- لقبال موسى : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها في منتصف القرن الخامس هجري احدى عشر ميلادي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 1979.

25-محمود اسماعيل :الخوارج في المغرب الاسلامي ، دار الدعوة ، بيروت ، 1976.

المجلات والجرائد :

1- بن علي يونسي : أكثر الانظمة الاجتماعية الدينية ثباتا واستمرار في العالم ، جريدة الخبر ، الجزائر ، 22 جويلية 2016.
2- بوسعد الطيب : دور علماء طبنة في العصور الاسلامية الوسطى ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، غرداية ، الجزائر ، العدد الثالث ، 2008.
3- حسين احمد الياس : الاسلام في مملكة غانا ، مجلة دراسات افريقية ، المركز الاسلامي في الخرطوم ، العدد الرابع ، 1989.
4- الصباغ لمياء عز الدين : القيروان ملتقى الاندلسيين ، مجلة التربية والتعليم ، جامعة الموصل ، مج : 18 ، العدد الرابع ، 2011.

الرسائل الجامعية :

1- عمر مهى خليفة حسين : أسباب سقوط الدولة الأموية ، كلية الاداب ن قسم التاريخ جامعة الخرطوم ، د.س.
2- فتيحة قرواز : الحياة الحضارية في الجزائر الرستمية (260ه-296ه /777م -909م) ، جامعة حسيبة بن بوعلي ، الشلف، الجزائر ، 2001.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات ..... **Error! Bookmark not defined.**
شكر وعرفان ..... **Error! Bookmark not defined.**
الاهداء ..... **Error! Bookmark not defined.**
شكر وعرفان 2
إهداء 3
مقدمة ..... أ
الفصل الأول تعريف بالدرجيني وكتابه طبقات المشائخ 2
المبحث الأول: نشأة وبيئة أبي العباس الدرجيني 2
المبحث الثاني: التعريف بالكتاب خارجيا 6
المبحث الثالث: التعريف بالكتاب داخليا 7
أسباب تدوين كتاب طبقات المشايخ ببلاد المغرب 7
منهج ابن العباس أحمد بن سعيد الدرجيني 7
أولا: المعلومات السياسية والعسكرية 9
المعلومات الفكرية 13
ثانيا: المعلومات الاقتصادية والاجتماعية 14
مصادر ابن العباس أحمد بن سعيد الدرجيني 15
الفصل الثاني: ظهور الدعوة الاباضية بالمشرق وانتقالها إلى بلاد المغرب 18
المبحث الأول: فرقة الإباضية كأحد فرق الخوارج 18
المبحث الثاني: ظهور الدعوة الاباضية بالمشرق 21
المبحث الثالث: انتقال الدعوة الاباضية إلى بلاد المغرب 25
دور حملة العلم 26
الفصل الثالث : الحياة العلمية في عهد الدولة الرستمية 31
المبحث الأول: دور الأئمة الرستمين 31
المبحث الثاني: المؤسسات التعليمية 35
الحلقات المجالس العلمية 38
المكتبات 39
المبحث الثالث: الإنتاج الفكري عند الرستميين 41
التفسير 41
-الفقه: 41
- الحديث 43
-اللغة العربية 45
الفصل الرابع : الحياة العلمية للاباضيين بعد سقوط الدولة الرستمية 46
الفصل الرابع : الحياة العلمية للاباضيين بعد سقوط الدولة الرستمية 47
المبحث الأول: انتقال الحياة العلمية الى الحواضر الأخرى 47

المبحث الثاني: تأسيس نظام العزابة.....50
المبحث الثالث: سير نظام العزابة 52
-اثر حلقة العزابة في الحفاظ على الإرث الاباضي 58
خاتمة : 60
الملاحق.....62
قائمة المصادر والمراجع : 67

EPUBLIC ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAII
IINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEURE ET DE L
ECHERCHE SCIETIUFIQUE
NIVERSITE MOHAMED KHIDER – BISKRA
ACULTE DES SCIENCES HUMAINES ET SCOCIALES
EPARTEMENT SCIENCES HUMAINES
EF: / D.S.H./2025

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد خيضر- بسكرة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية –السنة الجامعية 2024- 2025
رقم : / ق.ع.إ / 2025

التصريح الشرفي الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز مذكرة الماستر

أنا الممضي أسفله،

–الطالب(ة): حمدي جلال يوسف رقم بطاقة الطالب 3185033150 تاريخ الصدور: 2025/2/4

المسجل (ين) بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم: العلوم الانسانية شعبة: التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

والمكلف(ين) بإنجاز مذكرة ماستر الموسومة ب:

"الحياة العلمية في الدولة الرستمية من خلال كتاب طبقات المشايخ لابي العباس الدرجيني (160-296هـ/776-909م)"

أصرح بشرفي(نا) أني(نا) ألتزم(نا) بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز المذكرة المذكورة أعلاه.

التاريخ 2025/05/24

توقيع المعني:

REPUBLIC ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAI
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEURE ET DE L
RECHERCHE SCIETIUFIQUE
UNIVERSITE MOHAMED KHIDER – BISKRA
FACULTE DES SCIENCES HUMAINES ET SCOCIALES
DEPARTEMENT SCIENCES HUMAINES

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد خيضر- بسكرة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
السنة الجامعية 2025/2024

بسكرة في 04/11/2024

الاسم واللقب الأستاذ المشرف :.مغنية غرايب.....
الرتبة :..أستاذة.....
المؤسسة الأصلية :جامعة بسكرة.....

الموضوع: إذن بالايداع

أنا الممضي أسفله الأستاذ (ة)...مغنية غرايب...وبصفتي مشرفا على مذكرة الماستر للطالبين:(ة) ..جلاوجي جلال يوسف

.....

في تخصص: ...تاريخ العرب الإسلامي في العصر الوسيط

والموسومة: بـ...الحياة العلمية في الدولة الرستمية من خلال كتاب طبقات الإباضية لأبي العباس الدرجيني (909-947/296-334)...

والمسجل بقسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، أقر بأن المذكرة قد استوفت مقتضيات البحث العلمي من حيث الشكل والمضمون، ومن ثمة أعطي الإذن بطبعها.

إمضاء المشرف

مصادقة رئيس القسم

Université Mohamed Khider, B.P145 RP 07000 Biskra
☎ 033.50.1240

جامعة محمد خيضر بسكرة ، ص.ب 145 ق ر ، 07000 بسكرة.
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، القطب الجامعي ، شتمة.